لغوي من الخليج العربي
ابو الخطاب الاخفش الكبير
«عبد الحميد بن عبد المجيد ١٧٧ هـ»
في مذهب الفرق

الدكتور علي جابر المنصوري
كلية الشريعة ـ جامعة بغداد

منهجه اللغوي

ابو الخطاب الاخفش الكبير (عبد الحميد بن عبد المجيد ١٧٧ هـ) لغوي كبير اعتمد عليه العلماء في الدراسات اللغوية وروايتها، وقالوا فيه الكثير. ونحن لا نريد ان نردد ما قالوا بل نحاول ان نتأمل فيما قالوا فيه، ورووا عنه من اقوال وروايات تتعلق باللغة والنحو والشعر لنستخلص رأياً. من أجل ذلك بنينا دراستنا على نقطتين هما:

ا ـ طبيعة دراسته في تناوله للغة.
ب ـ مظاهر استقلاله في هذه الدراسة.

اما طبيعة دراسته فتناولت:

١ ـ بيان نطق بعض الكلمات عند العرب مع الاختلاف او الاتفاق فيها.
٢ ـ بيان استعمال بعض الالفاظ.
٣ ـ بيان رواية الفاظ غريبة ونادرة.
٤ ـ بيان اوزان بعض الكلمات سواء اكانت عربية ام عجمية.
٥ ـ بيان اشتقاق الكلام العربي.
٦ ـ بيان اوجه التعبير في الكلام لكثير من العبارات والتراكيب مع ايضاح دلالتها والغرض منها.
٧ ـ بيان الاخذ بالقليل والنادر والشاذ.

٨ ـ بيان عدم تخطئة العرب فيما رواه عنهم.
٩ ـ بيان استعمال المفردات اللغوية، والآيات القرآنية، والنصوص الشعرية في الدراسات اللغوية.

اما مظاهر استقلاله فتناولت:

ا ـ التبسيط في استخلاص القواعد، وعدم الغوص في التعليل والتأويل والحمل، او بعبارة ادق الابتعاد عن مظاهر القياس.

ب ـ الاستشهاد بالنص فيما روى من الالفاظ والمعاني والاوزان من خلال الشعر والنثر والقرآن حتى وإن كان ذلك مثالا واحداً.

حـ ـ استلهام روح العربية في تفسير المادة اللغوية.

جعل ابو الخطاب وزناً كبيراً لمنهجه اللغوي في الثروة اللفظية، فاعتمد على حسه الذي استوحى منه العربية، واحتكم اليه في تفسير المادة اللغوية، ولم يعمد الى الاستعانة بالحجج بل رصد اللغة وتتبعها في استعمالاتها المختلفة، ولهجاتها المتباينة في الشعر والنثر والقرآن على حد سواء.

وقد قاده هذا المنهج الى ان يركز كثيراً على ظاهرة الاستعمال في اللغة بحيث جعل لها المقام الاول، ثم سجل من خلال رصده للمفردات والتراكيب والابيات، ما رآه واتفق وذوقه اللغوي. فكان من جراء ذلك مساهماً جاداً في دراسة اللغة حيث اضاف الشيء الكثير من المعاني، واكتشف العديد من الالفاظ التي لم يهتد اليها غيره مما كان مستعملا عند العرب.

ابو الخطاب والاشتقاق

قال الزجاجي (عبد الرحمن بن اسحاق ٣٣٧هـ):
«إعلم أنَّ الناس في الاشتقاق ثلاثة أقوال:

فأمَّا الخليل وسيبويه وأبو عمرو بن العلاء، وأبو الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر والأصمعي وأبو زيد وأبو عبيدة والجرمي وقطرب والمازني والمبرد والزجاج وسائر من لم نسمعه من البصريين من أهل اللغة، فإنهم يقولون بعض الكلم مشتق وبعض الكلام غير مشتق.

وكذلك من الكوفيين الكسائي والفراء وأبو عمرو الشيباني وأبن الأعرابي وثعلب ومن تابعهم يقولون بهذه المقالة: إنَّ بعض الكلام مشتق، وبعضه غير

مشتق . . . »[1].

وقال السيوطي (عبد الرحمن بن أبي الكمال ٩١١ هـ) إنَّ من قال بهذا الرأي هم: سيبويه والخليل وأبو عمرو وأبو الخطاب وعيسى بن عمر والأصمعي وأبو زيد وأبن الأعرابي والشيباني . . . »[2]

والثاني: مذهب سيبويه (١٨٠ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) حيث كانا يريان أنّ: «. . . . كل الكلم مشتق . . . . »[3]

والثالث: مذهب طائفة من المتكلمين وأصحاب النظر حيث كانوا يرون أنَّ «الكلم كله أصل»[4]. على أنَّ أبا الخطاب كان في طليعة اللغويين الرّواد الذين قالوا بالاشتقاق في اللغة ثم تتابع الدارسون فيما بعد ليؤكدوا ما قال به من قبل.

وكانت نظريته هذه هي اكثر النظريات قرباً الى روح اللّغة في تطور مفرداتها. وأشدها انتساباً الى واقع الدراسات العلمية الجادة الحديثة.

أبو الخطاب والرواية

لم يكن المجتمع العربي في جاهليته بحاجة الى رواية اللغة، أودراستها فهي تدور على السنة أفراده بالفطرة والسليقة لاتكاد تشذّ عن مداركهم الالفاظ والمعاني، أو أصوات النطق والتعبير عنها في محيط قبائلهم، فلما جاءت الدعوة الاسلامية بالكتاب، والتف حوله الناس بادىء الامر بسبب من إعجازه اللغويّ لأفتتانهم به؛ تعلق المسلمون به يسمعونه، فَمَسّت الحاجة الى تفسيره تفسيراً لغوياً ليتعرفوا على ما أشكل عليهم فيه من الفاظ ومعانٍ. فنبعت عن ذلك كله حاجة الى تتبع التراث الادبي واللغوي لارساء دعائم الرواية التي تشعبت الى مجالات كثيرة كانت في مقدمتها رواية اللغة والادب، واستمرت الحال بالتوسع في الرواية منذ العهد الاسلامي حتى اصبح لها فيما بعد في العصور التي تلت العصر الاسلامي رواة متخصصون يشار اليهم بالبنان في القرن الثاني الهجري، كان في طليعتهم ابو الخطاب الاخفش حيث كانت الرواية عنده تمثل ثلاثة اتجاهات:

الاول: الرواية اللغوية بمختلف الوانها.

والثاني: الرواية الادبية التي كانت تعنى بالشعر.

---

(١) ـ اشتقاق اسماء الله/٤٨٠، ينظر /قطرب ومنهجه النحوي واللغوي/٢٧

(٢) ـ المزهر ١/٣٤٨

(٣) ـ المزهر ١/٣٤٨

(٤) ـ المزهر ١/٣٤٨

والثالث: الرواية النحوية التي كان يلمح بها من خلال النقد عند الاعراب والشعراء وغيرهم.

مصادر الرواية عند ابي الخطاب

الاول: مارواه عن العرب، أو ناسٍ من العرب، او بعض العرب، او العرب **الموثوق** بهم، او قبائل العرب:

ا ـ فمن روايته عن العرب:

قول سيبويه «قال ابو الخطاب: سمعت العرب يقولون: هذا ثوبٌ أكياشٌ... لضرب من الثياب...»[٥]

وقوله: «زعم ابو الخطاب انه سمع من العرب من يقول في الاضافة الى الملائكة والجن جميعاً: روحانيين، وللجميع: رأيت رُوحانيين، وزعم ابو الخطاب ان العرب تقوله لكل شيء فيه الروح من الناس والدواب والجنّ وزعم ابو الخطاب انه سمع من العرب من يقول: شَأميّ»[٦]

ب ـ عن العرب الموثوق بعربيتهم:

قال سيبويه في «باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة: «وذلك قولك: هذا عبد الله منطلق، حدثنا بذلك يونس وابو الخطاب عمّن يوثق به من العرب»[٧].

وقال ايضا: «وحدثني ابو الخطاب انه سمع من يوثق بعربيته من العرب ينشد هذا البيت:

كأنّا يوم قرّىٰ إنّما نقتلُ إيّانا
قتلنا منهُم كُلَّ فتىً أبيضَ حُسّانا»[٨]

حـ ـ عن قومٍ من العرب

قال سيبويه: «زعم أبو الخطاب أنّه سَمعَ قوماً من العرب ينشدون هذا البيت

---

(٥) ـ الكتاب (هارون) ٣/٢٣٠
(٦) ـ الكتاب (هارون) ٣/٣٣٨
(٧) ـ الكتاب (هارون) ٢/٧٣
(٨) ـ الكتاب (هارون) ٢/١١١

للحارث بن ظالم:

فما قومي بثعلبة بن سعدِ وَلَا بفزارةَ الشُّعرْى رِقابا

فإنَّما أُدخلت الألف واللاّم في (الحسن) ثم أعملته كما قال: الضاربُ زيداً»[٩]

د ـ عن ناس من العرب

قال سيبويه: «وزعم أَبو الخطاب أَن ناساً من العرب يقولون: أَدعِهْ من دعوتُ، فيكسرون العينَ كأنها لّما كانت في موضع الجزم توهموا أَنّها ساكنة...»[١٠]

وقال أيضاً «وزعم أَبو الخطاب أَنَّ ناساً من العرب يقولون في الوقف: طَلْحَتْ، كما قالوا في تاء الجميع قولاً واحداً في الوقف والوصل..»[١١]

هـ ـ عن بعض العرب:

قال سيبويه: «زعم أَبو الخطاب أَنَّ بعض العربِ يقول: حَيَّهَلَ الصلاة، فهذا اسم ائت الصلاة»[١٢]

وقال ايضاً: «حدثنا أَبو الخطاب ويونس أَنَّ بعض من يوثق بعربيته من العربِ يقول: هذا رَامي، وَغَازِي، وَعَمي، أَظهروا في الوقف حيث صارت في موضع غير تنوين»[١٣]

و ـ عن القبائل العربية واهمها:

(١) بَنو سُلَيم:

قال سيبويه: «وزعم أَبو الخطاب ـ وسألته عنه غيرِ مرة ـ أَنَّ ناساً من العرب يوثق بعربيتهم وهم بنو سُلَيم يجعلون باب قلت أَجمع مثل ظننت»[١٤]

٢ ـ أَهل الحجاز:

قال سيبويه: «... وقالوا: الكِباثم قالوا: الكِبوانِ حدثنا بذلك أَبو الخطاب عن أَهل الحجاز»[١٥]

٣ ـ أَزْد السَّراة:

---

(٩) ـ الكتاب (هارون) ٢٠١/١

(١٠) ـ الكتاب (هارون) ١٦٠/٤

(١١) ـ الكتاب (هارون) ١٦٧/٤

(١٢) ـ الكتاب (هارون) ٢٤١/١

(١٣) ـ الكتاب (هارون) ١٨٣/٤

(١٤) ـ الكتاب (هارون) ١٢٤/١

(١٥) ـ الكتاب (هارون) ٣٨٧/٣

قال سيبويه: «وزعم أَبو الخطاب أَنَّ أَزْدَ السَّراة يقولون: هذا زيدو، وهذا عُمَرو، وَمَرَرْت بزيديَ وبِعُمَري، جَعَلُوْهُ قياساً واحداً فأثبتوا الياء والواو كما أَثبتوا الألف. . . »[١٦]

٤ ـ طَيِّيء:

قال سيبويه في حال الابدال عند الوقف: «وَأَمَّا طَيِّءٌ؛ فزعموا أَنَّهم يَدَعُونَها في الوصل على حالها في الوقف لِأَنّها خفيفة لاتُحَرَّكُ قريبة من الهمزة»[١٧]

٥ ـ فزارة وقيس:

قال سيبويه: «. . . قول بعض العرب في أَفْعىٰ: هذه أَفْعي، وفي حُبْلىٰ: هذه حُبْلي. . . . فإذا وصلتِ صيرتها أَلفاً وكذلك كلُّ أَلفٍ في آخر الاسم. حدثنا الخليل وأبو الخطاب أَنّها لغةٌ لِفزارة وناسٍ من قيس وهي قليلة. . . »[١٨]

٦ ـ هُذَيل:

قال سيبويه: «وأَمَّا قول بعضهم في القراءة: «إِنَّ الله نِعِّما يَعظُكُمْ به، العين، فليس على لغة مَنْ قال: نِعْمَ، فأَسكنَ العين ولكنه على لغة من قالَ: نِعِمَّ، فحرك العين، وحدثنا أبو الخطاب أَنّها لغةُ هُذَيل»[١٩]

٧ ـ بنو كنانة:

قال أَبو عبيدة: «زعم أَبو الخطاب أَنَّه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعونَ الاثنين في موضعِ الجَرِ والنَّصْبِ. . . »[٢٠].

الثاني:

الأعراب العلماء باللغة والشعر من الذين عاصروا الخليل وسيبويه، ويونس وغيرهم، منهم:

أَبو الدُّقيش، وأَبو المهدية، وأَبو محلم، وأبو طفيلة، وأبو ربيعة:

قال سيبويه: «وزعم أبو الخطاب أَنَّ. . . . قولك للرجل: سلاماً، تريد: تسلماً منك، كما قلت: براءةً منك، تريد؛ لا أَلتبس بشيء من أمرك، وزعم أَنَّ أَبا ربيعةٍ كان يقول: إذا لقيت فلاناً؛ فَقُلْ له: سلاماً، فزعم أَنه سأله ففسره له بمعنى براءة منك. . . . »[٢١].

---

(١٦) ـ الكتاب (هارون) ٤/١٦٧

(١٧) ـ الكتاب (هارون) ٤/١٨١

(١٨) ـ الكتاب (هارون) ٤/١٨١

(١٩) ـ الكتاب (هارون) ٤/٤٤٠

(٢٠) ـ مجاز القرآن ٢/٢١

(٢١) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٢٤-٣٢٥

الثالث:

الشعراء ممن عاصرهم أَو ممن سبقوه:

كان أَبو الخطاب يروي الشعر وينشده بطريقتين:

الاولى: أَن يأخذه عن العرب فيقول فيه: «إنّه سمع بعض العرب الموثوق بهم ينشد هذا البيت نصباً:

أَتُو عِدُنِي بِقَوْمِكَ يا آبنَ حَجْلٍ ... أَشَاباتٍ يخالونَ العبادا
بِما جَمَّعْتَ مِن حَضنٍ وَعَمْرٍو ... وَمَاحَضَنٌ وعمرو والجيادا»[٢٢]

ويقول: «إنّه سَمِعَ قوماً من العربِ ينشدون هذا البيت للحارثِ بن ظالم:

فما قومي بِثَعْلَبَةَ بن سَعْدٍ ... وَلَا بِفَزارة الشُّعْرىٰ رِقَابا»[٢٣]

ويقول ايضا: «إنّه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منونٍ قال:

يحدو ثمانيَ مُولعاً بلقاحِها ... حَتّىٰ هممن بِزَيغةِ الإرتاجِ»[٢٤]

والثانية: أَن ينشده عن «أهله» أو «شاعره»

قال سيبويه: «قال ساعدة بن جُؤيّة:

رأَتْهُ على شيب القَذالِ وأَنّها ... تُواقِعُ بَعْلاً مَرَّةً وَتَئِيمُ

وزعم أبو الخطاب أَنّهُ سَمِعَ هذا البيتَ من أَهله هكذا»[٢٥]

وقال سيبويه في باب إعمال (الفعل الأول أَو الثاني بالمعمول): «قال المرار الأسدي:

فَرَدَّ على الفؤادِ هوىً عميداً ... وَسُوئِلَ لو يُبينُ لنا سُؤالا
وقدْ نَغنى بها وَنَرى عصوراً ... بها يَقْتَدْننا الخُرُد الخِدالا

حدثنا به أَبو الخطاب عن شاعره»[٢٦].

وقد غطت شواهد أَبي الخطاب جميع عصور الاستشهاد منذ العهصر الجاهلي حتى

---

(٢٢) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٠٤ـ٣٠٥
(٢٣) ـ الكتاب (هارون) ١/٢٠١
(٢٤) ـ الكتاب (هارون) ٣/٢٣١
(٢٥) ـ الكتاب (هارون) ٣/١٢٢ ـ ١٢٣
(٢٦) ـ الكتاب (هارون) ١/٧٨ ـ ٧٩

بداية العصر العباسي.

فقد استشهد بشعر طرفة ـ (وهو شاعر جاهلي توفي ٦٠ ق هـ):

مَـا أَفـلّتْ قـدَمٌ نـاعِـلَهـا نِعِمَ الساعونَ في الحيِّ الشَّطُرْ[٢٧]

واستشهد بشعر ساعدة بن جؤية وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والاسلام)

رَأَتْهُ على شيب القذالِ وأنّها تـواقـعُ بَعْـلا مـرة وتئيـم[٢٨]

واستشهد بشعر المرار الاسدي «وهو من شعراء الدولة الاموية»:

فَرَدَّ على الفُؤاد هـوىً عميداً وسـوئِـل لـويُبـين لنـا سؤالا

وَقَدْ نغنى بها وَنَـرى عصوراً بهـا يَقْتَـدْننـا الخُـرُدَ الخِـدالا»[٢٩]

واستشهد بشعر آبن مَيّادة (وهو شاعر عاش في ظل الدولة الاموية وَأَدرَكَ الدولة العباسية وتوفي في صدر خلافة أبي جعفر المنصور»[٣٠]:

يحـدو ثـماني مُـولعـاً بلقـاحهـا حَـتّى هَمَمْـنّ بـزيغـةِ الإرتـاج

أمّا رواياته الشعرية؟ فقد روى عنه سيبويه في كتابه شواهد شعرية في الابواب التالية:

١ ـ في (باب الفاعلين والمفعولين. . .) في مثل: (ضربتُ وضربني زيداً أو زيدٌ)

قال المرار الأسدي:

فَردّ على الفؤادِ هـوىً عميداً وسـوئِـلَ لـو يُبـين لنـا سؤالا

وقد نغنى بها وَنَـرَى عصوراً بهـا يَقْتَـدننـا الخُـرُدَ الخِـدالا»

٢ ـ في (باب الصفة المشبهة بالفعل) قال:

«وزعم أبو الخطاب أنّه سمع قوماً من العرب ينشدون هذا البيت للحارث بن ظالم:

فـما قومي بثعلبـة بن سعـدٍ ولا بِفَزَارة الشُّعْرى رِقابا»[٣٢]

٣ ـ في (باب معنى الواو. . .) قال:

« وزعم أبو الخطاب أنّه سمع بعض العربِ الموثوق بهم ينشد هذا البيت نصباً:

---

(٢٧) ـ الكتاب (هارون) ٤/٤٤٠

(٢٨) ـ الكتاب (هارون) ٣/١٢٢ ـ ١٢٣

(٢٩) ـ الكتاب (هارون) ١/٧٨ ـ ٧٩

(٣٠) ـ الكتاب (هارون) ٣/٢٣١

(٣١) ـ الكتاب (هارون) ١/٧٨ ـ ٧٩

(٣٢) ـ الكتاب (هارون) ١/٢٠١

أتوعدني بقومك يـاابن حَجْلٍ أشـابـات يخـالـون الـعـبـادا
بما جَمَعَتْ من حِضنٍ وعمروٍ ومـا حَضَنٌ وعمـروٌ والجيـادا»

٤ ـ في (باب . . . من المصادر ينتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره) قال: «زعم أبو الخطاب أنّ سبحانَ الله كقولك: براءة الله من السوء، كأنّه يقول: أُبرِّيءُ براءةَ الله من السوء، وزعم أنّ قول الشاعر:
وهو الأعشى (٥٧ هـ)
أقول لما جـاءني فخـره سبحـان مِنْ علقمةَ الفـاخِرِ
وزعم أنّ مثله ايضاً قول الشاعر (وهو أُميّة بن أبي الصَّلت ٧هـ):
سلامك رَبَّنا في كلِّ فجرٍ بريئاً مـا تغنتك الـذّمُوم»[٣٤]

٥ ـ في (باب ما لايكون الاسم فيه إلاّ نكرة) قال:
وحدثني أبو الخطاب أنّه سمع من يوثق بعربيته من العرب ينشد هذا البيت ـ وهولِذي الاصبع العدواني او لِأبي بجيلة ـ
كـأنّـا يَـوم قُـرّى إنّـما نـقـتـلُ إيّـانـا
قـتـلـنـا مـنـهـم كُـلَّ فـتىً أبـيض حُـسّـانـا»[٣٥]

٦ ـ في (باب ماتكون فيه أنَّ وأنّ مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الاسماء)قال:
«إنّ أبا الخطاب حدثنا أنّه سمع من العرب الموثوق بهم مَن ينشد هذا البيت رفعاً للكناني (قيس بن الأسلت ـ شاعر جاهلي)
لم يمنع الشّرْب منها غيرُ أنْ نطقت حمامة في غصونٍ ذات أوقال»[٣٦]

٧ ـ في (باب من أبواب أنَّ) قال:
«قال ساعدة بن جُؤية ـ وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام ـ رأتهُ على شَيب القذالِ وأنّها تـواقِـعُ بعـلاً مـرةً وتئيم
وزعم أبو الخطاب أنه سمع هذا البيت من أهله هكذا»[٣٧]

٨ ـ في (باب ما لاينصرف في المعرفة) قال:
«زعم أبو الخطاب أنّه سمعهم يقولون:
ومـعـزىً هَـدِبـاً يـعـلـو قِـرانَ الأرضِ سُـودانـا»[٣٨]

٩ ـ في (باب ما كان على مثال مفاعِلَ وَمَفَاعيل) قال:

---

(٣٣) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٠٤
(٣٤) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٢٤ ـ ٣٢٥
(٣٥) ـ الكتاب (هارون) ٢/١١١
(٣٦) ـ الكتاب (هارون) ٢/٣٢٩
(٣٧) ـ الكتاب (هارون) ٣/١٢٢ ـ ١٢٣
(٣٨) ـ الكتاب (هارون) ٣/٢١٩

«وقد جعل الشعراء ثمانيَ بمنزلة حذارِ حدثني أبو الخطاب أنه سَمِعَ العرب ينشدون هذا البيت غير منونٍ قال:
«حدثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيل وكسرها كما قالوا: لِعِبٌ وقال طرفة (٦٠ق. هـ):

مـاأقـلّت قَـدَمٌ نـاعِلَهـا نِعِمَ الساعون في الحيّ الشَّطُرْ»[٤٠]

١١ ـ في (الاستشهاد على شواةٍ):
روى عنه أبو عبيدة قائلاً: في قوله تعالى: (كلا إنّها لظىً نزاعة للشوى تدعو مَنْ أدبر وتولى) واحدتها شواة وهي اليدان والرجلان والرأس من الأدميين قال الأعشى:

قـالـت قـتـيـلة مـالـه قـد جُلِّلَت شيباً شـواتُـهْ

انشدها أبو الخطاب الأخفش»[٤١]

١٢ ـ في (الاستشهاد على الشرصَةِ)
روى عنه آبن دريد قال: «قال أبو الخطاب الاخفش... الشِّرصة والشَّرْصَةُ النزعة عند الصَّدْغ قال الراجز:

صَلْتُ الجبينِ ظاهرَ الشراصِ»[٤٢]

١٣ ـ في (باب الاستشهاد على شَهِل)
روى عنه آبن دريد ايضاً: «وما قضيت من هذا الأمر شهلائي أي حاجتي وانشد ابو عبيدة عن أبي الخطاب الأخفش:

لم أقضِ حتى ارتحلت من العروبِ الطفلة الغيداءِ»[٤٣] شهلائي

١٤ ـ في (الاستشهاد على ضم النون في نخفهِ)
روى عنه أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي ٣٥١ هـ) قائلاً: «قال التّوزي أنشدنا أبو عبيدة قال: أنشدنا ابو الخطاب الاخفش هذا الشعر لِامرىء القيس بن عابس الكندي:

فإن تدفنوا الداءَ لانُخفِهِ
فضموا النّون، ورواية الناس فتحها»[٤٤]

---

(٣٩) ـ الكتاب (هارون) ٣/٢٣١
(٤٠) ـ الكتاب (هارون) ٤/٤٤٠
(٤١) ـ مجاز القرآن ٢/٢٦٩
(٤٢) ـ الجمهرة ٣/٤٥٤ (ش.ر.ص)
(٤٣) ـ الجمهرة ٣/٧١ـ٧٢ (ش. هـ.أ.)
(٤٤) ـ الجمهرة ٣/٧١ـ٧٢ (خ.ي.ي)

١٥ ـ في (الاستشهاد على تكسير يد) على أياد:
روى عنه إبن جني (٣٩٢هـ) قائلاً: «أنشد أبو الخطاب:
ساءها ما تأملت في أيادي ـ . . . . نا وَاشناقها الى الأعناق»(٤٥)

١٦ ـ في (الاستشهاد على الوقف على التاء):
روى عنه آبن الحاجب ١٨٦ هـ قائلاً: «زعم أَبو الخطاب أَنّ ناساً من العرب يقفون على الاسمية ايضاً بالتاء قال:
الله نجّاك بِكفّي مِسْلَمَتْ من بعدما وبعدما وبعدِمَتْ»(٤٦)

١٧ ـ في (الاستشهاد على النوادر)
روى عنه السيوطي قائلاً: «ومن أفراد أَبي الخطاب في الجمهرة الجَثّ ـ ما ارتفع من الارض حتى يكونَ له مثل الأكيمَة ونحوها قال الشاعر:
وَأوفى على جُثّ وللّيل طُرّةٌ على الأُفق لم يهتك جوانبها الفَجْرُ

قال: واحسب أَنّ جثة الانسان من هذا اشتقاقها»(٤٧)

الرابع: اساتذته

لم نجد فيما روى أبو الخطاب اشارة يشير بها الى أَنَّهُ أخذ من أحد ممن تتلمذ على أيديهم، أَو من سبقه من العلماء، فكل الروايات التي وصلت الينا عنه تنتهي اليه وتصدر عنه. وهذا لايعني بطبيعة الحال أَنّ أَبا الخطاب لم يأخذ من أَحد، لأَنّ طبيعة الدراسات أَنذاك تشير الى أَنّه لايمكن أن يكتمل علم الرجل منهم الا بعد أن يدرس على شخص آخر أو يروي عنه علمه.

إذن طبيعة الدراسة تجعل من الرواية عنصراً أساساً من عناصر اكتمال علم الواحد منهم. من هنا كان لابدّ من أن يكون أَبو الخطاب قد روى شيئاً من علمه عن طريق الشيوخ تشير الى ذلك حلقات الدرس التي دارت بينه وبين المعاصرين له والمتقدمين عليه. كعبد الله بن أبي اسحاق، وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما الكثيرون، وقد وجدنا دالّة تشير الى مِثل ذلك هي قول التَّوَّزي: «أَنشدنا أبو عبيدة قال: أنشدنا أبو الخطاب الاخفش قال: انشدنا أهل العلم هذا الشعر لامرىء القيس بن عابس الكندي:

(٤٥) ـ الخصائص ١/٢٦٧
(٤٦) ـ شرح شافيه ابن الحاجب ٢/٢٨٩ وانظر شرح المفصل ٥/٨٩
(٤٧) المزهر ١/١٣١

فإن تدفنوا الدّاء لانخفِهِ»[٤٨]

من هنا نستطيع أن نطمئن الى أنّ أبا الخطاب روى علماً كثيراً عن طريق أساتذته غير أنّ هذا العلم المرويّ ضاع فيما ضاع من علمه الغزير الذي لم يصلنا منه الا النزر اليسير.

ومهما يكن الامر فاننا نستطيع القول: إنّ الرواية عن طريق شيوخه كانت مصدراً مهماً من مصادر علمه الذي كوّن شخصيته العلمية.

طبيعة النّص المرويّ

النصوص التي رويت عن أبي الخطاب شعراً ونثراً على نوعين:

الاول: نصوص موثقة عن العرب الموثوق بهم، وموثقة أيضاً من قبل أبي الخطاب نفسه أو من قبله هو وأحد معاصريه، وقد توثق أحياناً من قبل الراوي وهو سيبويه. من هنا نرى أنّ هذا التوثيق يشمل النص متناً، والرواة الذين نقلوه سلسلة.

وتهدف هذه الجهود الى التأكد من صحة النص وفصاحته، حتى يكون صالحاً لاستنباط القواعد بحيث يكون منتمياً الى أحد عصور الاستشهاد. من هنا نلاحظ أنّ سيبويه حينما يتحدث عن أبي الخطاب يقول: «العرب الموثوق بعربيتهم» أو «سمع ممن يوثق بعربيته من العرب» أو «من أهله» أو «من شاعره» أو «مَن يوثق به من العرب».

وقد يُوَثّق النص عن طريق اكثر من راوية فيقول مثلا: «حدثنا الخليل وأبو الخطاب» أو «حدثنا أبو الخطاب ويونس»

وقد لايكتفي سيبويه بأن تكون الثقة عن طريق الخليل أو أبي الخطاب أو العرب بل يسند الثقة له هو فيقول: «عمن نثق به» وهكذا يتبين لنا أحياناً أنّه يبالغ بالتوثيق من أجل سلامة النص وصحته ونسبته الى العرب.

والثاني: نصوص غير موثقة ينقلها سيبويه عن أبي الخطاب فيقول فيها: «إنّه سمع قوماً من العرب» أو «إنه سمع من العرب» أو «أن العرب تقول» أو «أن العرب ينشدون» أو «أنّه سمعهم يقولون» أو «أنّه سمع عن العرب وليس كل العرب يعرف هذه الكلمة» أو «زعم أنّ ناساً من العرب» أو «حدثنا عن العرب» وهكذا نراه يصل الى الحد الذي يلقي فيه تبعة فصاحة النص وصحته على أبي الخطاب بقوله «زعم».

وعلى أية حال فأنّ هذا الأسلوب لايعني أنّ النّصّ كان غير موثوق منه في الصحة

(٤٨) ـ الاضداد ١/ ٢٤٠

والفصاحة بل بالعكس فقد كان يشعر بهذا الاسلوبَ إمّا أن يكونِ النص معروفاً الى الحد الذي لايحتاج الى توثيقٍ لِأنّه مطرد، وإمّا أن يكون غامضاً على سيبويه نفسه وحتى على بعض العرب أيضاً، ولا يعرفه غير أبي الخطاب كأن يكون مفرداً نادراً أو غريباً، أو يكون لهجة أو استعمالاً ينفرد به لذلك يلقي سيبويه تبعة روايته على شيخه ومع ذلك فلا يشك بفصاحته وصحته.

على أنّ هذا النّص يقسم من جهة ثانية على قسمين:

الأول: نص مطرد مستمر يرويه العرب كل العرب ينطبق على القواعد العامة.

والثاني: نص لايتماشى مع القاعدة في كل احوالها فهو مقتصر على (بعض) أو (قوم) أو (ناس) أو (لهجة) وبذلك يدخل في باب القلّة أو الندرة أو الغرابة، التي بقيت في نصوصها ونماذجها لاتتعداها الى غيرها.

من أجل ذلك لايمكن القياس عليها والاستنباط منها.

مما تقدم ندرك أنّ الرواة واللغويين قسموا العرب عندما أرادوا الأخذ عنهم على قسمين:

الاول: عرب وثقوا بهم فأخذوا عنهم اللغة شعراً ونثراً.

والثاني: عرب لم يطمئنوا الى فصاحتهم فتركوا ما عندهم:

قال السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر الكمال ٩١١هـ) نقلاً عن أبي نصر الفارابي: «... بالجملة فأنّه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فانّه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولامن قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثر نصارى الشام يقرءون بالعبرانية ولا من تغلب والنمر، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس، ولامن اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولامن ثقيف، واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم... والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرّها علما وصناعة أهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار»[٤٩].

من ذلك نتبين أَن مارواه أبو الخطاب يندرج تحت هذا القسم الذي رواه اللغويون غير أنّه على درجات في التوثيق والاستعمال مع كونه صحيحاً فصيحاً.

---

(٤٩) - المزهر ٢١٢/١

دواعي الاستشهاد

إنَّ دواعي الاستشهاد بروايات أبي الخطاب التي استعان بها سيبويه وغيره من اللغويين كثيرة، يمكن أن نشير الى أهمها ومنها:

١ ـ دعم قضية صوتية تتعلق بنطق ناس من العرب:
قال سيبويه: «حدثنا أبو الخطاب أنّ ناساً من العرب يقولون: كِيْدَ زيدٌ يفعلُ. وما زِيْلَ زَيْدٌ ذاك. يريدون: زال وكاد»[٥٠].
وقال أيضاً: «وَأَمَّا الذين راموا الحركة فهم الذين قالوا: هذا عُمَرْ، وهذا أَحْمَدْ، كأنّه يريد: رفع لسانه»[٥١]

٢ ـ دعم رأيه في إثبات قضيَّة إعرابية في مثل (ضربوني وضربتهم قومُكَ) قال سيبويه:

«فَرَدَّ على الفُؤادِ هوىً عميداً وسُوئلَ لو يبينُ لنا سُؤالا

وقد نغنى بها وَنَرى عصوراً بها يَقْتَدْننا الخُرُدَ الخِدالا

حدثنا به أَبو الخطاب عن شاعره»[٥٢]

٣ ـ الاستعانة برواياته في بيان تضمين معنىً:
قال سيبويه: «زعم أبو الخطاب أنّ سبحان الله كقولك: براءةً من السوءِ كأنّهُ يقول: أبرى الله من السوء...»[٥٣]

٤ ـ الاستعانه برواياته على استعمال كلمة استعمالاً نحوياً خاصاً، تمثل لهجة. قال سيبويه: وزعم ابو الخطاب ـ وسألته عنه غير مرة ـ أنّ ناساً من العرب يوثق بعربيتهم وهم بنو سُليم يجعلون باب قلت أجمع مثل ظننت»[٥٤]

٥ ـ الاستعانة برواياته في اشتقاق أو تركيب كلمة مع اختلاف تقلباتها. قال سيبويه «حدثنا أَبو الخطاب أنّه يقال للرجل المداوم على الشيء لايفارقه ولايقلع عنه: قد أَلبَّ فلان بالمكان على كذا وكذا. ويقال: قد أسعد فلان فلاناً على أمره وساعده، فالالباب والمساعدة دنو ومتابعة. إذا أَلبّ على الشيء فهو لايفارقه،

(٥٠) ـ الكتاب (هارون) ٣٤٢/٤
(٥١) ـ الكتاب (هارون) ١٦٩/٤
(٥٢) ـ الكتاب (هارون) ٧٨/١
(٥٣) ـ الكتاب (هارون) ٣٢٤/١
(٥٤) ـ الكتاب (هارون) ١٢٤/١

وإذا أسعده فقد تابعه فكأنه إذا قال الرجلَ للرجل: يافلان: فقال: لبَّيكَ وسعديك، قد قال له: قرباً منك ومتابعة لك»[٥٥].

٦ ـ التدليل على بيان وجوه الاحتمالات:

من ذلك قولك: هذا عبدُ الله منطلق. حدثنا بذلك يونُس، وأبو الخطاب»[٥٦].

٧ ـ الاستعانة برواياته على قضية تتعلق بالقراءات القرآنية:

قال سيبويه: «وسألته عن قوله عزَّ وَجَلَّ (وما يشعركم إنها إذا جاءت ليؤمنون) ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لايفعل؟ فقال: لايحسن ذا في ذا الموضع، إنما قال: وما يشعركم ثم ابتدأ فأوجب فقال: إنها إذا جاءت لايؤمنون، ولو قال: وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون كان ذلك عذراً لهم»[٥٧]

٨ ـ الاستعانة برواياته لبيان قضية صرفية، كالألف التي تتعلق بالتأنيث أو الالحاق.

قال سيبويه: «إنّ من بين العرب من يؤنث (علقى) فلاينون وزعموا أنَّ ناساً يذكرون معزىً زعم أبو الخطاب أنه سمعهم يقولون:

ومعزىً هَدِباً يعلو قِرانَ الأرضِ سُودانا»[٥٨]

أو كالصيغة الوزنية التي تبين الافراد والجمع:

قال سيبويه: «قال أبو الخطاب: سمعت العرب يقولون: هذا ثوبٌ أكياش»[٥٩].

٩ ـ الاستعانة برواياته باستعمال لفظ في معنى دون معنى آخر:

قال سيبويه: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع من العرب من يقول في الاضافة الى الملائكة والجنّ جميعاً رُوْحانيٌّ، وللجميع رأيْتُ رُوْحانيين وزعم أبو الخطاب أنّ العربَ تقوله لكل شيء فيه روح من النّاس والدّوابِ والجنّ»[٦٠].

١٠ ـ الاستعانة برواياته في استعمال لفظ نادر:

قال سيبويه: «فإنْ قُلْتَ: لِمَ لم يقولوا: مَقْتَوْنَ؟ فان شئت؛ قُلْتَ: جاءوا بهِ على الأصل كما قالوا: مقاتوة، حدثنا بذلك أبو الخطاب عن العربِ وليست كل العرب يعرف هذه الكلمة...»[٦١]

(٥٥) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٥٣
(٥٦) ـ الكتاب (هارون) ٢/٨٣
(٥٧) ـ الكتاب (هارون) ٣/١٢٣
(٥٨) ـ الكتاب (هارون) ٣/٢١٩
(٥٩) ـ الكتاب (هارون) ٣/٢٣٠
(٦٠) ـ الكتاب (هارون) ٣/٣٣٨
(٦١) ـ الكتاب (هارون) ٣/٤١٠

١١ ـ الاستعانة برواياته في بيان الهمز على الاصل:
قال سيبويه: «راءني إنما ابدلت همزتها ألفاً، وأبدلت الياء كما قال بعض العرب: راءة في راية حدثنا بذلك أبو الخطاب»[٦٢]
١٢ ـ الاستعانة برواياته في استعمال وزنين لمعنىً واحد
قال سيبويه: «وزعم أبو الخطاب أنهم يقولون: رجل أَهيم وهيمان يريدون شيئاً واحداً وهو العطشان»[٦٣]
١٣ ـ الاستعانة برواياته على استعمال لغة نادرة:
قال آبن دريد: «والعَقْسُ فعل ممات منه اشتقاق عَوْقَسٌ وهو ضرب من النبت قال ذلك أبو الخطاب وليس ذلك بثبت»[٦٤]
وقال: «. . . . خَمَّانُ البيتِ رديء متاعه هكذا روي عن أَبي الخطاب»[٦٥]

الرواة الذين أَخذوا عن أَبي الخطاب الأخفش

اشهر العلماء الذين أخذوا عنه رواية اللغة، ووصلت الينا عنه بطريقهم هم: سيبويه (١٨٠هـ) وأبو عبيدة (٢١٠ هـ)، وآبن دريد (٣٢١ هـ)

أولاً: سيبويه

كان موقفه من أَبي الخطاب مختلفاً يتجه فيه الى ثلاثة اتجاهات في الروايات التي أخذها عنه.
الاول: كان فيه سيبويه مُوثّقاً لما يقوله أَبو الخطاب مستعملاً كلمة (حدثنا) وما يتعلق بها من اشتقاقات تتفرع عنها قال في تركيب (هذا عربيٌّ حَسْبُه): «حدثنا بذلك أبو الخطاب عمن نثق به من العرب جعله بمنزلة الدنيّ، والوزن فأنه قال: هو عربيٌّ اكتفاءً»[٦٦] وقال في «قولك: هذا عبدُ الله منطلق»: «حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب. . .»[٦٧]
مما تقدم نلحظ أنه يقول: «حدثنا» أو «حدثني» وهذا يعني أَنَّه سمع من أبي الخطاب شفاهاً، يضاف الى ذلك ايضاً أنّه (يُوثّق) الحديث إمّا بسند من الرواة مثلما

(٦٢) ـ الكتاب (هارون) ٤٦٨/٣
(٦٣) ـ الكتاب (هارون) ٢٠/٤/٣
(٦٤) ـ الجمهرة ٣١/٣ (س.ع.ق)
(٦٥) ـ الجمهرة ٧١/١ (خ.م.م)
(٦٦) ـ الكتاب (بولاق) ٢٧٥/١ و(هارون) ١١٨/٢
(٦٧) ـ الكتاب (هارون) ٨٣/٢

وَثق روايته الأخيرة باسنادها الى (يونس) مقوياً اسنادها الى أبي الخطاب، وإمّا بسند من «العرب» و«العرب الموثوق بهم» و«الموثوق بعربيتهم».

من هنا يكون التوثيق باكثر من دليل نقلي، وقد يتبعه أحياناً بدليل عقلي يشوبه شيء من التعليل، أو التأويل، أو الحمل القريب كما فعل في معالجة «هذا عبدُ الله منطلقٌ» قال: «زعم الخليل أن رفعه يكون على وجهين: فوجه أنّك حين قلت: هذا عبد الله: أضمرت هذا أو هو كأنّك قلت: هذا منطلق، أو هو منطلق، والوجه الآخر ان نجعلهما جميعاً خبرا لهذا كقولك: هذا حلو حامض»[٦٨]. . فهذه الرواية تعني أنّها موثقة من ثلاث نواحي، هي ناحية مصدرها في الاستعمال، وناحية راويها، وناحية صلاحيتها للاستنباط المطرد مع قواعد اللغة.

وقد يستعمل سيبويه أحياناً عبارة (سألته عنه) و(سألته غير مرة) ففي مثل هذه الرواية تكون المادة اللغوية مسموعة، وموثقة ومعللة ايضاً من هنا يتبين لنا ان أبا الخطاب يأخذ أحياناً بالتعليل القريب والقياس البسيط فهو مثلاً يرى أن «الحرف لايدخل على الحرف»[٧٠]

الثاني:

كان سيبويه لايقف فيه مع أبو الخطاب كما كان في الموقف الاول بل يسحب الثقة منه هنا قليلاً فيستعمل كلمة (قال) وما يتعلق بها من اشتقاق بدلاً من (حدثنا وما يتعلق بها). وفي هذا الموقف يكون حكماً وسطاً بين التوثيق والشك لِأنه يلقي تبعة الرواية على أبي الخطاب وحده فيقول «سمع أبو الخطاب» أو «سمعها من بعض العرب» من ذلك قوله: قال ابو الخطاب: سمعت العرب يقولون: هذا ثوبٌ أكياش»[٧١].

من أجل ذلك يمكن ان نقول: إنه في مثل هذه المادة لايرقى الى مستوى التوثيق لذلك لايمكن أن يعتمد عليه في استنباط القواعد.

الثالث:

يكون فيه سيبويه أقرب الى الشك منه الى اليقين بالنسبة لما يرويه عن استاذه

(٦٨) - الكتاب (بولاق) ١/٢٥٨ و(هارون) ٢/٨٣
(٦٩) - الكتاب (هارون) ١/١٢٤
(٧٠) - الكتاب (هارون) ١/١٢٦
(٧١) - الكتاب (هارون) ٣/٢٣٠

حيث يُصَدِّرُ الرواية عنه من دون توثيق بقوله: «زعم أبو الخطاب وما يتعلق بها من المشتقات».

والزعم كما يقول آبن منظور (٧١١هـ) «... الزَّعْمُ، والزُّعْمُ، والزِّعْمُ، ثلاث لغات: القول... وقيل هو القول يكون حقاً ويكون باطلاً... وقال الليث: سمعت أَهل العربية يقولون: إذا قيل ذكر فلان كذا وكذا، فإنما يقال ذلك لِأمر يستيقن أنّه حق واذا شك فيه فلم يدر لعله كذب أو باطل قيل: زعم فلان...»[٧٢].

على أَنَّ سيبويه كان عارفاً ما يقوله في هذه الكلمة، مستوعباً الهدف الذي يقصده من وراء استعماله لها فهي - أي الكلمة - تحتمل عنده الشك واليقين، أو على الاقل مجرد القول دونما توثيق أو عدم اقتناع بما رواه أبو الخطاب عن العرب وغيرهم. وعلى أية حال، فإن مثل هذه الظاهرة تشكل قسماً كبيراً مما رواه سيبويه عن استاذه من ذلك قوله: «زعم أبو الخطاب أنه سمعهم يقولون:

ومِعْزىً هَدِباً يعلو قِرانَ الأرضِ سودانا»[٧٣]

وقوله: «وزعم أبو الخطاب أنّه سمع من العرب من يقول في الاضافة الى الملائكة والجنّ جميعاً: رُوْحانيٌّ، وللجميع: رأيتُ رُوْحانيين. وزعم أبو الخطاب أنّ العرب تقوله لكل شيء فيه الروح من الناسِ والدَّوابّ والجنّ وزعم أبو الخطاب أنه سمع من العرب من يقول: شأْميّ...»[٧٤]

غير أن هذا الذي زعمه أبو الخطاب كان سيبويه يستشهد به، ويُدَعّم به ما يريد أن يصل اليه.

ثانياً: أَبو عبيدة (مَعْمر بن المثنى ٢١٠هـ)

كان أبو عبيدة من كبار العلماء الذين شغلوا برواية اللغة، وقد أخذ بعضاً منها عن مشايخه ومنهم أبو الخطاب الاخفش.

حيث كان يضعه في طبقة أبي عمر وبن العلاء (١٥٤ هـ) بل يفضله أحياناً على أبي عمرو حينما يوازن بينهما قال في قوله تعالى: «... كلا إنها لظى نزّاعة لِلشوى تدعو مَنْ أدبرَوتولى)[٧٥]. واحدتها شواة وهي اليدانِ والرّجلانِ، والرأس من

(٧٢) - لسان العرب (زعم) ٢٦٤/١٢
(٧٣) - الكتاب (هارون) ٢١٩/٣
(٧٤) - الكتاب (هارون) ٣٣٨/٣
(٧٥) - المعارج ١٥/٧٠ - ١٧

الآدميين قال الأعشى:

قالت قتيلة مالَهُ قد جلَّلَتْ شيباً شواتُهْ

أنشدها ابو الخطاب الأخفش أبا عمرو بن العلاء فقال له: صَحَّفْت إنما هي (سَراتُهْ) قال أبو عبيدة: وسمعت رجلاً من أهل المدينة يقول: اقشعَرت شواتي، وشوى الفرس قوائمه. يقال:

عَبْلُ الشَّوى ولاَ يكون هذا للرأس لِأنهم وصفوا الخيل بإسالة الخدين وعتق الوجه ورقته...»[٧٦].

ها أنت ترىَ أَبا عبيدة أكَّدَ ما رواه أبو الخطاب، فكان بذلك موثقاً إياه. ثم يمضي الزمن فيأتي (أبو بكر محمد بن القاسم ٣٣٨ هـ) الأنباري فيثبت ما جاء في الرواية من قول أبي عمرو على لسان أبي عبيدة، نافياً عن أبي الخطاب تهمة الخطأ قائلاً: «قال أبو عبيدة فمكثنا دهراً نظن أنّ أبا الخطاب أخطأ وأنّ أبا عمرو هو المصيب حتى قدم علينا أعرابيٌّ مُحرِمٌ فسمعناه يقول: قد اقشعرت شواتي يريد: اقشعرت جلدة رأسي قال: فعلمنا أنّ أبا عمرو وأبا الخطاب أصابا جميعا»[٧٧]

من هنا كانت الكلمة في حفظ أبي عمرو برواية واحدة هي (سَراته) وكانت في حفظ أبي الخطاب مترادفة من كلمتين هما (شواته) و(سَراته) من ذلك يتبين لنا أن أبا الخطاب كان أوسع حفظاً للنادر والغريب من غيره.

وعلى أيَّة حال فإن هذه الرواية نقلها السيوطي (٩١١هـ) فيما بعد بصورة اكثر حماساً لأبي الخطاب علماً أنّ السيوطي كان ممن يطعن عليه في علمه، قال: «... فقال أبو عمرو: صَحَّفتَ ياأبا الخطاب، إنما هو (سَراتُهُ) وسراة كل شيء أعلاه، ثم انصرف أبو عمرو فقال أبو الخطاب: واللهِ إنها لفي حفظه ولكنه ماحضره، فسأل جماعة من الاعراب فقال قوم: سراته وقال آخرون: شواته، فعُلِمَ أنّ كل واحد منهما ماروى إلاّ ماسمع...»[٨٧].

ويؤكد أبن الأنباري (كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ٥٧٧ هـ) في رواية أخرى هذه الثقة بأبي الخطاب على لسان ابي عبيدة قائلاً: «قال أبو عبيدة: سألت أبا الخطاب الأخفش: هل تجمع اليد الجارحة على (أيادٍ)؟. فقال: نعم، ثم سألت أبا عمرو بن العلاء فأنكر ذلك فقلت لِأبي الخطاب: إنّ أبا عمرو قد أنكر ما اثبته فقال: أوما سمع قول عَدِيّ:

ساءها ما تأملت في أياد يـ... نا واشناقها الى الاعناقِ

ثم قال: هي في علم الشيخ لكنه أُنسيه وهو كما قال أبو الخطاب قال الشاعر:

---

(٧٦) ـ مجاز القران ٢/٢٦٩ ـ ٢٧٠

(٧٧) ـ الزاهر ١/٤٨٢ ـ ٤٨٣، وانظر اللسان (شوا) ١٤/٤٤٧ «رواها الزجاج عن طريق ابي عبيدة»

(٧٨) ـ المزهر ٢/٣٦٣

فمن ليد تطاولنا الأيادي»[٧٩].

ومما روي عنه أيضاً لفظه (أُخفي وأَخفي) بضم الهمزة وفتحها وكان أبو الخطاب يرويها (بالضمّ)، قال التَّوَّزي: «... خفيت الشيء وأَخفيته لغتانِ في الاظهارِ والكتمانِ جميعاً قال: ومن ذلك قول الله جَلَّ وَعَزَّ (أَكادُ أُخْفِيها) يقرأ بالضّمِ والفتح.

. . . . . .

وقال التَّوَّزي أَنشدنا أبو عبيدة قال أَنشدنا أبو الخطاب الاخفش:

قال: أنشدنا أهل العلم هذا الشعر لامريء القيس بن عابس الكندي:

فإنْ تدفنوا الداء لانخفه

فضموا النّون ورواية الناس فتحها...»[٨٠]

وروى عنه أبو عبيدة ـ كما نقل آبن دريد ـ قول الراجز:

لم أقض حتى ارتحلت شهلائي من العروب الطّفلَةِ الغيداء»[٨١]

ومما تقدم يتبين لنا أنَّ مَنْ أخذوا عنه من زملائه وتلاميذه لم يطعنوا برواياته عدا ـ ابا عمرو بن العلاء ـ حتى سيبويه هذا الذي صدر بعض رواياته (بالزعم) فإنّه لم يُضَعِّف رواياته بل اهتم بها وقاس عليها وقوّى بها ما يريد إثباته في بعض الظواهر النحوية واللغوية. وشيء آخر يضاف الى حسن روايته هو هذا الحوار المبني على السؤال ثم الجواب المتمكن فيه عما يرويه مما جعله مرجعاً لغوياً لكبار العلماء.

مما تقدم يمكن أن نجمل موقف أبي عبيدة من شيخه بالنقاط التالية:

١ ـ إنه كان تلميذاً وفياً مخلصاً لأستاذه

٢ ـ إنه كان يدلل برواياته على سعة معرفة استاذه بالغريب والنادر وغير ذلك مما يتعلق باطراف اللغة

٣ ـ إنه يشير الى أخذه الكثير من علم استاذه الغزير مما يتعلق باللغة، إمّا النحو؛ فلم نجد له أثراً ما.

ثالثا: إبن دريد (محمد بن الحسن ٣٢١هـ)

لقد روى إبن دريد في كتاب الجمهرة اكثر من إحدى عشرة رواية لغوية عن أبي الخطاب الأخفش[٨٢]

(٧٩) ـ نزهة الالباء ٤٣-٤٤، وانظر/البلغة في تاريخ ائمة اللغة ١٢٠ ـ ١٢١ ـ الاية ٢٠/١٥/انظر مجمع البيان «... وفي الشواذ قراءة الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الألف» ٣/٧

(٨٠) ـ الاضداد لابي الطيب (عبد الواحد ٣٥١هـ) ١/٢٣٨ ـ ٢٤١

(٨١) ـ الجمهرة (ش.ل.هـ) ١/٧١-٧٢

(٨٢) ـ انظر/ الجمهرة ١/٤٤ و٦٤ و٧١. و٢/٣٠ و٣١ و٧١ و٧٢ و١٦٦ و٢٩٥ و٣١٦ و٤٥٤

ونحن هنا لانريد ان نعرض لها جميعاً إنّما نود ان نعرض الى ثلاث روايات كان إبن دريد يطعن فيها بأبي الخطاب الاخفش وهي:

ا ـ قال إبن دريد: «. . . مَحَّ الثَّوْبُ يمحُّ محوحاً اذا خلَقَ وقالوا: أَمَحَّ أيضاً فهو يُمِحُّ وَمُحَّةُ البيض صفوتها، وخالصِ كلِ شيء مُحّهُ. والمحاح في بعض اللغات الجوعُ ـ ولا أدري ما صحته ـ ورجل مَحّاح كذّاب؛ زعموا وأحسبهم رووها عن أبي الخطاب الاخفش»(٨٣)

ب ـ قال إبن دريد: «ذُكِرَ عن أبي الخطاب الاخفش أنّه قال: الخَفَنْحوْف: طائر. وما أدري ما صحته، ولم يذكره أحد من أصحابنا»(٨٤)

حـ ـ قال إبن دريد «. . . . العَوْقس: فعلٌ ممات منه اشتقاق عَوْقسٌ وهو ضرب من النبت قال ذلك أبو الخطاب: «وليس ذلك بثبت»(٨٥)

وتشكيك إبن دريد في بعض ما أخذه عن أبي الخطاب مردود بأدلة عقلية ونقلية منها:

١ ـ لاتدل غرابة اللفظ او ندرتها بالضرورة على عدم صحتها، وها نحن رأينا في عصر العلماء الذين جمعوا اللغة منهم من يعرف اللفظة ولايعرف مرادفها، ومنهم من يعرف مرادفها ولا يعرفها كما هي الحال عند أبي الخطاب وأبي عمرو فيما رأينا مما سبق.

٢ ـ لم يطعن عليه احد من معاصريه اساتذةً وتلاميذ ـ عدا أبا عمرو ـ بل فضله بعضهم حتى على أبي عمرو كما هو واضح فيما سبق

٣ ـ لم يعاصر ابن دريد الاعراب الذين أُخِذت عنهم اللغة، ولذلك لايعرف أسرار الفاظهم كما عرفها المتقدمون، فلا يستطيع الحكم على صحتها إلّا من جهة القياس فقط.

٤ ـ توثيق كبار العلماء المتقدمين له من أمثال أبي عبيدة، وأبي زيد الانصاري (٢١٥هـ) وكذلك فعل المتأخرون من امثال ابن الأنباري (محمد بن القاسم ٣٣٨هـ) وابن الانباري (كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ٥٧٧ هـ)

٥ ـ إبن دريد نفسه روى عنه كثيراً من المعاني والالفاظ، فاذا كان لم يثق به فلماذا روى عنه؟ كان عليه أن يضرب عن روايته صفحاً، ولا يعتد بها. اليس كذلك؟ غير أنّ الذي رأيناه من الاعتماد عليه خلاف ذلك.

---

(٨٣) ـ الجمهرة (م ح ح) ٦٤/١

(٨٤) ـ المزهر ٣١/١

(٨٥) ـ الجمهرة (م ع ق): ٣١/٣

النشاط اللغوي عند أبي الخطاب

يمكن أن نجمله بما يلي:

١ ـ الرواية وقد تحدثنا عنها مفصلاً فيما تقدم.

٢ـ اللهجات وقد درسناها ايضا عندما عرضناالى مصادرالروايةفيما تقدم.

٣ ـ الهمز وسنعرض له عندما نتحدث عن كلمة (دِرّيء)

٤ ـ النوادر

٥ ـ الغريب

ونود أن نعرض هنا الى النادر والغريب مما رواه، أو روي عنه ووصل الينا.

أ ـ النوادر

قال ابن منظور (٧١١هـ): «نَدَرَ الشيء يَنْدُرُ نُدوراً: سقط، وقيل: سقط وشذّ، وقيل: سقط من فوقَ شيء أو من بين شيء... ونوادر تَندُرُ وهي ما شذ وخرج من الجمهور وذلك لظهوره...»[٨٦]

إن ما جاء به ابن منظور في كلامه هذا لايغني شيئاً فهو لايوضح لنا طبيعة النوادر التي اهتم بجمعها العلماء عن الاعراب. وعلى ذلك فنحن لم نستطع أن نصل الى رأي قاطع فيما كانوا يعنونه بالنوادر. فهل كانوا يعنون بالنوادر ماشذّ وخرج عن الجمهور كما يقول ابن منظور؟ إنّ الأمر لايبدو مستقيماً على هذا التحديد إذا ما تأملنا فيما وصلنا من كتب النوادر وقبل أن نلتمس ما المقصود بالنوادر، علينا ان نلمح ولو بنظرة بسيطة الى اهم الكتب التي حملت هذه العناوين واختصت بالنوادر واهم من كتب فيها.

فقد كتب في النوادر من أوائل البصريين أبو عمرو بن العلاء، ويونس آبن حبيب، وأبو مالك عمر بن كركرة الاعرابي، ودلامز البهلول الاعرابي. ودهمج بن محرز، وأبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، وأبو علي محمد بن المستنير قطرب، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو زيد الانصاري، وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي[٨٧].

ونحن لو تأملنا في أيّ من كتب النوادر التي وصلت الينا مثل كتاب نوادر أبي زيد؛ نجد أن مجالات النوادر كثيرة تشمل الاختلاف في الضبط، واللهجات، والاعلال والابدال، والصيغ، والحذف والزيادة في الكلمات والتأنيث والتذكير، وندرة الكلمات وشذوذها، ومرادفاتها واضدادها وإعرابها واستعمالها واشتقاقها وغموضها، والاختلاف في استعمال العبارات وكناياتها ودلالاتها الى غير ذلك مما هو

(٨٦) ـ لسان العرب (ندر) ١٩٩/٥

(٨٧) ـ انظر رواية اللغة ٩٣

كثير يستغرق دراسة مطولة[٨٨] ولابأس من أن نشير الى بعض نماذج منها كما يلي:

١ ـ اختلاف اللغات: هذا الاختلاف الذي نلحظ فيه الابدال بين الالف والياء مثل «العاب والعيب لغتان كما يقال: القار والقير والقاد والقيد، والذام والذيم، ويقال: هو مِني قاد رمح، أو قيد...»[٨٩].
وهناك ابدال لغات بين الواو والياء مثلً: «مُثْتُهُ أَميثُهُ وَمُثْتُهُ أَموثُهُ... وهذا كثير عندنا ليس أَنّهم أَدخلوا ذوات الياء على ذوات الواو، ولا ذوات الواو على ذوات الياء كل واحد منهما حيز على حدته..»[٩٠]. ومن ذلك الابدال عند القبائل بين الياء والهمزة مثل «سقاية وسقاءة وما أشبهه»[٩١]

٢ ـ غموض الكلمات من ذلك: «تَأَبَّقَ تباعَدَ أَخذه من إباق العبد.... قال أبو حاتم: سألت الاصمعي عن تَأَبَّقَ فقال: لا أعرفه»[٩٢] وكذلك «لم يعرف الرَّياشي إعرنْقَزَ ولم يعرف نَهْية ولا نُهْتَةً...»[٩٣]

٣ ـ الترادف:
قال الكلابيون: المهروس والمجشوش واحدٌ وهي هريسةٌ وجشيشةٌ..»[٩٤]

٤ ـ الاختلاف في الضبط بين القبائل:
«قال أبو الحسن الجَّرْسُ والجِّرْسُ فيما رويناه الصوت ويقالُ:
اسكت الله جَرْسهُ وجِرْسهُ...»[٩٥]

٥ ـ الحذف: أي استعمال كثير من الكلمات محذوفاً منها الحروف مثل ما رواه أبو زيد: «عن ابن الأعرابي أَنَّ بَهانَ أُخِذَ من بَهنانة وهي العظيمة الخُلُق الناعمة»[٩٦]

٦ ـ صياغة كلمات من أُخرى جامدة: مثلما «يُقالُ: ما أرض الضّمانَ يافتى، وما آرض بلادكم، أيْ ما أَشَدَّ اختلاط نباتها...»[٩٧]

٧ ـ الإشتقاق من كلمات جامدة مثلما «يقال: هي المعيوراء والمتيوساء والمشيوخاء من التيوس والشيوخ والحمر»[٩٨].

---

(٨٨) ـ انظر/يونس بن حبيب ٤٧-٥١
(٨٩) ـ نوادر ابي زيد ٣
(٩٠) ـ نوادر ابي زيد ٨٦
(٩١) ـ نوادر ابي زيد ٨٦
(٩٢) ـ نوادر ابي زيد ١٦
(٩٣) ـ نوادر ابي زيد ٩٠
(٩٥) ـ نوادر ابي زيد ٣٤
(٩٦) ـ نوادر ابي زيد ١٦
(٩٧) ـ نوادر ابي زيد ٩٤
(٩٨) ـ نوادر أبي زيد ٩٠

٨ ـ دقة التمييز في الاستعمال بين المعاني:
قال أبو زيد: «. . . استقبلتْ الماشيةُ الوادي فأنا استقبلها إيّاه وأقبلتها الوادي إقبالاً اذا اقبلْتَ بها نحوه وقبلت الماشية الوادي تقبله قبولا اذا استقبلته هي»[٩٩]

٩ ـ التذكير والتأنيث: مثل: (ليلة مقمر) و(ليس له همة الا الباطل) الى غير ذلك من الاستعمالات الكثيرة.

١٠ ـ العبارات النادرة: «جاء فلان ومعه زفراته وبنو عمه وبنو ابيه وهما واحد. . . وجاء فلان وقد لفظ لجامه اي جاء وهو مجهود. . .»[١٠٠]

وهذا ما اردنا ان نشير اليه اشارة عابرة تاركين مجالات كثيرة ونماذج مختلفة لاشكال متباينة.

اما ما عند ابي الخطاب من النوادر فاحسب انها لاتتعدى ما جاء به ابو زيد وغيره ممن كتبوا في النوادر ويمكن ان نلمح في نوادره.

١ ـ اللهجات العربية. ٢ ـ المصادر النادرة ٣ ـ المعاني النادرة ٤ ـ الاوزان النادرة ٥ ـ العبارات النادرة ٦ ـ الاستعمالات النادرة الى غير ذلك مما سنشير اليه فيما بعد.

ب ـ الغريب

قال فيه للرجاجي: «واما الغريب فهو ما قل استعماله من اللغة، ولم يدر في افواه العامة كما دار في افواه الخاصة كقولهم: صكمت الرجل اي لكمته وقولهم: للشمس: يوحُ. وقولهم: رجل ظروري للكيّس. .».

ثم قال: «وهذا كثير جداً وهذا وما اشبهه، وان كان عربياً عند قوم فهو معروف عند العلماء، وليس كل العرب يعرفون اللغة كلها غريبها وواضحها ومستعملها وشاذها بل هم في ذلك طبقات يتفاضلون فيها. . .»[١٠١]

وقال إبن منظور: « والغريب الغامض من الكلام وكلمة غريبة وقد غربت وهو من ذلك. . .»[١٠٢]. وقد كان الدافع للبحث في هذا الغريب هو القرآن الكريم.

وكان ابن عباس (ر) يعقد مجالساً لمدارسة الغريب، وكان يقول: اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب. او يقول: «من اراد ان يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل»[١٠٣].

---

(٩٩) ـ نوادر أبي زيد ٨١
(١٠٠) ـ نوادر ابي زيد ١٠٥
(١٠١) ـ الايضاح في علل النحو ٩٢
(١٠٢) ـ اللسان (غرب) ١/٦٤٠
(١٠٣) ـ حلية الاولياء ١/٣٢٠-٣٢١

ثم تتابع الدارسون بعد إبن عباس في دراسة الغريب فبرع به يحيى بن يعمر، وكان عالما به، وابن ابي اسحاق حيث كان يقول: «وانما نعني فيما استتر من معاني الشعر واشكل من غريبه»[١٠٤] وكان الاصمعي مولعا بالغريب، يدلك على ذلك قوله: «جئت الى أبي عمرو بن العلاء فقال: من اين ياأصمعي؟ قلت: من المربد. قال: هات مامعك. فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، ومرت به ستة اخرى لم يعرفها فأخذ يعدو في الدرجة قائلا: شَمَّرْت في الغريب ياأصمعي...»[١٠٥].

وقد الف في الغريب كثيرون غير الاصمعي منهم ابو عبيدة، ومؤرج السدوسي، وابو محمد اليزيدي، والنضر بن شميل، وقطرب، وابو زيد الانصاري.

وقد عرض ابن الاثير (المبارك بن محمد ٦٠٦هـ) للفظ الغريب فقسمه على قسمين خاص، وعام: «فاما الخاص فهو ما ورد من الالفاظ اللغوية والكلمات الغريبة الحوشية التي لايعرفها الا من عنى بها وحافظ عليها واستخرجها من مظانها (وقليل ماهم) فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص من الالفاظ اهم مما سواه، واولى بالبيان مما عداه، ومقدماً في الرتبة على غيره ومبدواً في التعريف بذكره اذ الحاجة اليه ضرورة في البيان لازمة في الايضاح والعرفان ثم معرفته تنقسم الى معرفة ذاته وصفاته.

اما ذاته فهي معرفة وزن الكلمة وبنائها، وتأليف حروفها وضبطها لئلا يتبدل حرف بحرف او بناء ببناء.

واما صفاته فهي معرفة حركاته واعرابه، فمعرفة الذات استقل بها علماء اللغة والاشتقاق ومعرفة الصفات استقل بها علماء النحو والتصريف. وان كان الفريقان لايكادان يفترقان لاضطرار كل منهما الى صاحبه في البيان»[١٠٦]

من هنا يتضح لنا ان ابن الاثير فصّل واوضح معنى الغريب وما يشمله فهو لايختلف عن النوادر بل هو نوع من الكلمات والعبارات، والاشتقاقات والتراكيب مما تكون اكثر ندرة من النوادر لذلك يستغربها من لم يألفها لعدم سماعه لها.

ودراستها لاتختلف عن النوادر اذ عرض لها اللغويون من الجوانب التي عرضوا فيها للنوادر، وبناء على ما اسلفنا فيما تقدم نعرض للغريب الذي جاءنا عن ابي الخطاب الاخفش الاكبر، فندرس ما انفرد به من الالفاظ والمعاني، وما اشترك بروايته مع غيره من العلماء، ثم ندرس طبيعة هذه الالفاظ والمعاني والتراكيب والعبارات وسمات الغرابة فيها. واليك تفصيل ذلك.

---

(١٠٤) - أنباه الرواة ٢/١٠٧

(١٠٥) - معجم البلدان ٢/٢٠٢

(١٠٦) - النهاية في غريب الحديث والاثر - ط العثمانية - سنة ١٣١١هـ ١/٣-٤

ثم تتابع الدارسون بعد إبن عباس في دراسة الغريب فبرع به يحيى بن يعمر، وكان عالما به، وابن ابي اسحاق حيث كان يقول: «وانما نعني فيما استتر من معاني الشعر واشكل من غريبه»[١٠٤] وكان الاصمعي مولعا بالغريب، يدلك على ذلك قوله: «جئت الى أبي عمرو بن العلاء فقال: من اين ياأصمعي؟ قلت: من المربد. قال: هات مامعك. فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، ومرت به ستة اخرى لم يعرفها فأخذ يعدو في الدرجة قائلا: شَمَّرْت في الغريب ياأصمعي...»[١٠٥].

وقد الف في الغريب كثيرون غير الاصمعي منهم ابو عبيدة، ومؤرج السدوسي، وابو محمد اليزيدي، والنضر بن شميل، وقطرب، وابو زيد الانصاري.

وقد عرض ابن الاثير (المبارك بن محمد ٦٠٦هـ) للفظ الغريب فقسمه على قسمين خاص، وعام: «فاما الخاص فهو ما ورد من الالفاظ اللغوية والكلمات الغريبة الحوشية التي لايعرفها الا من عنى بها وحافظ عليها واستخرجها من مظانها (وقليل ماهم) فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص من الالفاظ اهم مما سواه، واولى بالبيان مما عداه، ومقدماً في الرتبة على غيره ومبدواً في التعريف بذكره اذ الحاجة اليه ضرورة في البيان لازمة في الايضاح والعرفان ثم معرفته تنقسم الى معرفة ذاته وصفاته.

اما ذاته فهي معرفة وزن الكلمة وبنائها، وتأليف حروفها وضبطها لئلا يتبدل حرف بحرف او بناء ببناء.

واما صفاته فهي معرفة حركاته واعرابه، فمعرفة الذات استقل بها علماء اللغة والاشتقاق ومعرفة الصفات استقل بها علماء النحو والتصريف. وان كان الفريقان لايكادان يفترقان لاضطرار كل منهما الى صاحبه في البيان»[١٠٦]

من هنا يتضح لنا ان ابن الاثير فصّل واوضح معنى الغريب وما يشمله فهو لايختلف عن النوادر بل هو نوع من الكلمات والعبارات، والاشتقاقات والتراكيب مما تكون اكثر ندرة من النوادر لذلك يستغربها من لم يألفها لعدم سماعه لها.

ودراستها لاتختلف عن النوادر اذ عرض لها اللغويون من الجوانب التي عرضوا فيها للنوادر، وبناء على ما اسلفنا فيما تقدم نعرض للغريب الذي جاءنا عن ابي الخطاب الاخفش الاكبر، فندرس ما انفرد به من الالفاظ والمعاني، وما اشترك بروايته مع غيره من العلماء، ثم ندرس طبيعة هذه الالفاظ والمعاني والتراكيب والعبارات وسمات الغرابة فيها. واليك تفصيل ذلك.

---

(١٠٤) - أنباه الرواة ٢/١٠٧

(١٠٥) - معجم البلدان ٢/٢٠٢

(١٠٦) - النهاية في غريب الحديث والاثر - ط العثمانية - سنة ١٣١١هـ ١/٣-٤

الالفاظ والمعاني النادرة والغريبة عند ابي الخطاب

اولا: ما انفرد به:

١ ـ سبحان بمعنى براءةً

قال سيبويه: «زعم ابو الخطاب ان سبحان الله كقولك: براءة الله من السوء كأنه يقول: أُبَرِّيء براءة الله من السوء وزعم مثله قول الشاعر (وهو الاعشى).

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر»[١٠٧]

واكد هذا المعنى آبن جني فيما بعد قائلاً: «ان ابا الخطاب فسره فقال: براءة الله من السوء. فَبَرَّأته من الشيء وحجزته عنه بمعنى واحد»[١٠٨]

٢ ـ سلاماً بمعنى: براءة.

قال سيبويه: «وزعم ان ابا ربيعة كان يقول: اذا لقيت فلانا فقل له: سلاما، فزعم انه سأله ففسره له بمعنى: براءةً منك وزعم ان هذه الآية مفعول بها (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاما: لان الآية فيما زعم مكية، ولم يؤمر المسلمون يومئذ ان يُسَلِّموا على المشركين ولكنه على قوله: براءة منكم وتسلما، لاخير بيننا وبينكم ولاشر، وزعم إن قول الشاعر (وهو امية بن ابي الصلت):

سلامك ربُّنا في كل فجر بريئاً ما تغنثك الذموم

على قوله: براءتك ربنا من كل سوء...»

٣ ـ جُثّةَ

قال السيوطي: «زعموا ان ابا الخطاب الاخفش كان يقول: لا اقول جُثَّةُ الرجلِ الا لشخصه على سرج ورحل، ويكون مُعْتَمّاً ولم يسمع من غيره...»[١١٠]. والجُثث عند اللغويين غير ابي الخطاب: «ما ارتفع من الارض حتى يكون له شخص مثل الاكيمة الصغيرة..»[١١١]

٤ ـ الخفخوف:

قال ابن دريد: «زعموا ان ابا الخطاب الاخفش انه قال: الخفخوف: طائر... ولم يذكره احد... غيره...»[١١٢].

---

(١٠٧) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٢٤-٣٢٦ والشيرازيات ١/م/٩٦-١١٦
(١٠٨) ـ المحتسب ١/٢٦١
(١٠٩) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٢٥
(١١٠) ـ المزهر ١/١٣١
(١١١) ـ المزهر ١/١٣١
(١١٢) ـ الجمهرة (خفف) ١/٦٨ والمزهر ١/١٣١

٥ ـ الدَّهْلُ: بمعنى القطعة من الزمن.

قال ابن دريد: الدَّهْلُ كلمة عبرانية قد استعملها العرب كأنها تأمر بالرفق والسكون. ويقال: مر دهل من الليل، اي قطعة منه، جاء بها ابو الخطاب ولم يجيء بها غيره...»[١١٣]

وقال ابن منظور «دهل من الليل اي ساعة، وقيل: صدر قال: مضى من الليل دهل وهي واحدة كأنها طائر بالدو مذعور هذه رواية يعقوب، ورواه اللحياني: ذهل بالذال المعجمة وهي نادرة»[١١٤] يبدو لي ان هذه اللفظة ـ على ما ارجح ـ تعني (الدَّهر) ثم حصل ابدال في لامها بين الراء واللام، نتيجة اختلاف لهجي بين القبائل فنطقتها قبيلة بالراء ونطقتها اخرى باللام.

٦ ـ خَمانٌ بمعنى: رديء المتاع:

قال ابن دريد: «...خمان البيت: رديء متاعه ـ هكذا روي عن ابي الخطاب...»[١١٥].

وقال ابن منظور: «... خمّان الناس خشارتهم، وقيل: جماعتهم، ابن الاعرابي: خمان الناس، ونتاش الناس، وعوذ الناس واحد وقال اللحياني: رأيت خمان الناس على فَعّلان وفُعِّلان بالضم والفتح، اي من اراذلهم. وخُمّان البيت رديء متاعه قال ابن دريد: روي عن ابي الخطاب: والخم البستان الفارغ...»[١١٦]

٧ ـ جُبْتَلٌ: فُعَلُلٌ

قال ابن دريد: جُبْتَلٌ: فُعْلُلٌ موضع عن ابي الخطاب»[١١٧] وهو نادر ولم يوجد منه الا الفاظ قليلة مثل «جُخدب وجُخادب. وهو الذكر من الجراد والجعلان. وقال الاخفش: جُخدب وليس في كلام العرب فُعْلُلٌ إلاسؤدد وجُؤذرُ وجُندْبُ، وجُنطُب كلها مفتوحة ومضمومة..»[١١٨]

٨ ـ مَحَّ الثوبُ: أَخلَقَ.

قال ابن دريد: «... مَحَّ الثوب يَمُحُّ ويَمِحُّ مُحُوحاً اذا اخلق وقالوا: أمَحَّ ايضا فهو يُمِحُّ ومُحَّةُ البيت صفوتها، وخالص كل شيء مُحَّهُ. والمحاح في بعض اللغات: الجوع، ولا ادري ما صحته، ورجل محاح كذاب ـ زعموا ـ واحسبهم رووها عن ابي الخطاب الاخفش..»[١١٩]

---

(١١٣) ـ الجمهرة ٢/٣٠ (دهل، واللسان (دهل) ١١/٢٥١

(١١٤) ـ اللسان (دهل) ١١/٢٥١

(١١٥) ـ الجمهرة (خمم)١/٧١

(١١٦) ـ اللسان (خمم) ١/٧١

(١١٧) ـ الجمهرة (جعتب) ٣/٢٩٥ ولم توجد في اللسان

(١١٨) ـ الجمهرة (جخدب) ٣/٢٩٧، وانظر المنصف ١/٢٧ و١٣٨

(١١٩) ـ الجمهرة (محح) ١/٦٤، واللسان (محح) ٢/٥٨٩

١١٩ ـ العقس: من (عوقس) نبت العشق
قال آبن دريد: «العقس (فَعْل) ممات منه اشتقاق (عوقس) وهو ضرب من النبت قال ذلك: ابو الخطاب...»[١٢٠]

ثانيا: مارواه هو وغيره:
١ ـ الطلخثة: التلطخ بالشيء:
قال ابن دريد: «... الطلخثة التلطخ بالشيء ذكر ذلك ابو مالك وابو الخطاب الاخفش: طَلْخَثَهُ وطلْخَثَهُ اذا لطخه بامر يكرهه...»[١٢١]
٢ ـ الشبرُ: ما بين طرف الخنصر الى طرف الابهام:
قال ابن دريد: «قال ابو عثمان عن التوزي عن ابي عبيدة عن ابي الخطاب ـ وهو في نوادر ابي مالك ـ قال: الشبر بين طرف الخنصر الى طرف الابهام، والفتر بين طرف الابهام الى طرف السبابة الوسطى...»[١٢٢]
٣ ـ أَمْق هذا مَقْيكَ، وامقُ هذا مَقْوَكَ: اي صُنْهُ قال ابن دريد: «وتقول العرب امق هذا مَقْوَكَ مالَكَ: اي صُنْهُ صيانتَكَ مالَكَ، ويقال؛ مقوت السيف والمرآة إذا جلوتهما جاء به يونس وابو الخطاب وغيرهما، والمقو: مصدر (مَقَا) الفصيل أُمَّهُ يمقوها مَقْوا اذا اراد رَضعَهَا رضاعا شديدا...»[١٢٣].

الالفاظ والتراكيب والعبارات النادرة والغريبة

ا ـ الهمز:

١ ـ أَرْأَىٰ: بالهمز على الاصل المرفوض
قال سيبويه: «قال الشاعر وهو كثير عزةّ:
وكُلُّ خليلٍ رَاءني فهو قائلٌ مِن اجلك هذا هامة اليوم او غد
وإنما ارادً: (ساءها) و(رآني) ولكنه قلب او إنْ شئت؛ قلت: راءني: إنما أبدلت همزتها ألفاً، وأبدلت الياء بعد، كما قال بعض العرب: راءةٌ في راية حدثنا بذلك ابو الخطاب...»[١٢٤]

وقال سيبويه: «حدثني أبو الخطاب أنه سمع من يقول: قد أرآهم يجيء بالفعل من رأيت على الاصل من العرب الموثوق بهم.

(١٢٠) ـ الجمهرة (سعق) ٣/٣١ واللسان (عقس) ٦/١٤٤
(١٢١) ـ الجمهرة ٣/٣١٦ (باب التاء والخاء في الرباعي)
(١٢٢) ـ الجمهرة ٣/٤٥٤ (ش.ب.ر)
(١٢٣) ـ الجمهرة ٣/١٦٦ واللسان (مقا) ١٥/٢٨٩

وإذا اردت ان تخفف همزة أرأوْه؛ قلت: (رَوْهُ) تلقي حركة الهمزة على الساكن، وتلقي الف الوصل، لانك استغنيت حين حركت الذي بعدها، لانك انما الحقت الف الوصل للسكون، ويدلك على ذلك: رَ ذاك، وَسَلْ، خففوا: أرْأ، واسأل»[١٢٥]

وقال ابن جني: «. . . والبدل وان كان كالاصل لانه بدل منه، فان له ايضا شبهاً من موضع آخر، وهو كونه غير اصل، كما ان الزائد غير اصل. الا ترى الى ما حكاه عن ابي الخطاب من قول بعضهم في راية: راءة، بالهمز، كيف شبه الف راية وان كانت بدلا من العين ـ بالالف الزائدة فهمز اللام بعدها كما يهمزها بعد الزائدة نحو سقاء، وقضاء [١٢٦] وقال ابن جني ايضا: «. . . ومن ذلك قراءة ابي عبد الرحمن السلمي: (ألم تر الى الملا) ساكنة الراء. قال ابو الفتح: هذا لعمري هو اصل الحرف: رأى يرْأى، كرعى يرعى، الا ان اكثر لغات العرب فيه تخفيف همزته بحذفها، والقاء حركتها على الراء قبلها على عبرة التخفيف في نحو ذلك وصار حرف المضارعة، كأنه بدل من الهمزة وهو قولهم: انت ترى، وهو يرى. ونحن نرى، وكذلك افعل منه كقول الله تعالى سبحانه (لتحكم بين الناس بما اراك الله) واصله: أرآك الله وحكاها صاحب الكتاب عن ابي الخطاب. . . تحقيق هذه الهمزة واخراجها على اصلها كقول سراقة البارقي:

أُرِي عيني مالم ترأَياهُ كلانا عالم بالترُّهاتِ»[١٢٧]

وقال ابن منظور: «الراية: القلم، لاتهمزها العرب، والجمع رايات ورايٍ، واصلها الهمز، وحكى سيبويه عن ابي الخطاب راءة بالهمز»[١٢٨]

مما تقدم من نصوص نلاحظ ان ابا الخطاب كان منفرداً برواية هذه الكلمة مهموزة، وكأنه حمل الزائد فيها على الاصل المرفوض كما قدمنا اي قلب الياء في (راءة) همزة بعد الالف على تصور ان الالف زائدة في (فاعلة) لذلك تقلب بعدها الواو همزة. وهنا حمل الاصل ـ وهو الف راية الذي هو عين الكلمة ـ على الزيادة في القياس من اجل ذلك لجأ الى القلب.

وهناك تفسير آخر لهذا القلب وهو القلب المكاني بين الالف والهمزة حيث قدمت الهمزة، واخرت الالف ثم قلبت هذه الهمزة الفا وقلبت الالف ياءً ثم

(١٢٤) ـ الكتاب (هارون) ٤٦٧/٣ ـ ٤٦٨
(١٢٥) ـ الكتاب (هارون) ٥٤٦/٣
(١٢٦) ـ الخصائص ٢٠٢/١ و٢٧٧/٣
(١٢٧) ـ المحتسب ١٢٨/١ ـ ١٢٩
(١٢٨) ـ اللسان (ريا) ٣٥١/١٤

همزةً مثل:
راءة ـ رءاة ـ راية ـ راءة.
وهنا يبدو تحقيق الهمز، او همز ما ترك همزه بالرجوع الى الاصل المرفوض مقبولا في القياس والاستعمال على حد سواء.

٢ ـ دُرِّيء (بالهمز) في قوله تعالى:
«... كَأَنَّها كوكَبٌ دُرِّيءٌ..»[١٢٩]

قال سيبويه في اثناء حديثه عن اوزان الاسماء والصفات: «... ويكون على (فُعِّيل) وهو قليل في الكلام قالوا: المُرِّيق حدثنا ابو الخطاب عن العرب وقالوا: كوكب دريء وهو صفة ويكون على (فعِّيل) فيهما فالاسم: العُلِّيق... والصفة الزِّمِّيل...»[١٣٠]

ونحن اذا ما اردنا ان نتبين رواية ابي الخطاب لكلمة (دُرِّيء) بالضم او الفتح، والهمز، علينا ان نتعرض الى رواياتها المختلفة، والاشتقاق، والمعاني عند القراء واللغويين وغيرهم فتقول:

اولا: دُرِّيء: بضم الدال والهمز، او تشديد الياء: قال ابو الحسن الاخفش: «... كوكب دري..» اذا جعله من الدر [١٣١]

وقال الفراء: «قال ابو بكر بن عياش قرأها عاصم (دُرِّيٌّء) بضم الدال والهمز وذكر عن الأعمش قرأ (دريء) بهمز وغير همز رويا عنه جميعاً ولاتعرف جهة ضم أوّله وهمزه لايكون في الكلام (فعِّيل) إلّا عجمياً فالقراءة اذا ضممت اوله؛ يترك الهمز..»[١٣٢]

وقال ابن خالويه: «دُرِّيٌّ يقرأ... بضمها والهمز والمد، وبضمها ـ اي الدال ـ وتشديد الياء... والحجة لمن ضم اوله شبهه بـ (مُرِّيق) وان كان عجمياً، والحجة لمن ضم وشدد انه نسبه الى الدر لشدة ضوئه..»[١٣٣].

وقال ابن منظور: «...(كوكب دريء) على فعيل: مندفع في مضيه من المشرق الى المغرب... والجمع: دراريء على وزن (دراريع) وقد درأ الكوكب دروءاً...»[١٣٣]

---

(١٢٩) ـ النور ٢٤/٣٥.
(١٣٠) ـ الكتاب (هارون) ٤/٢٦٨، وانظر، العضديات ٣١أ والشيرازيات ١/م١٠/١٥٥
(١٣١) ـ معاني القرآن للاخفش ٢/٤٢٠
(١٣٢) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٢
(١٣٣) ـ حجة ابن خالوية ٢٦٢. ولم يذكر ابن خالوية رواية الفتح
(١٣٤) ـ اللسان (درأ) ١/٧٣

وقال ايضا: «قال ابو عبيد ان ضممت الدال فقلت: دُرّيٌّ، يكون منسوباً الى الدر على فُعْلِيّ ولم تهمزه لانه ليس في كلام العرب فُعّيل ـ مهموز ـ قال الشيخ ابو محمد (ابن بري) في هذا المكان قد حكى سيبويه انه يدخل في الكلام (فُعّيل) وهو قولهم للعصفر: (مُرِّيق) و(كوكب دريء، ومن همزه من القراء فانما اراد: (فُعُّولاً) مثل (سُبُّوح) فاستثقل الضم فرد بعضه الى الكسر»[١٣٥] وقال ايضا: «روي عن عاصم انه قرأها (دري) فضم الدال. وانكره النحويون اجمعون. وقالوا: دِرّيءٌ بالكسر والهمز جيد على بناء فِعّيل»[١٣٦] وقال ايضا: «(وكوكب دُرّيٌّ) بضم الدال. . . . ثاقب مضيء. . . منسوب الى الدر. قال الفارسي: ويجوز ان يكون فعيلاً على تخفيف الهمزة قلباً [١٣٧]. . . قال ابو اسحاق: من قرأ بغير همزة نسبة الى الدر في صفائه وحسنه وبياضه. . .»[١٣٨]

الخلاصة من ذلك:

١ ـ الاصل: هو دَرَأَ، او دَرَرَ.

٢ ـ اصل الاشتقاق ـ كما هو عند البصريين من:
الدُّرّ ـ بالضمّ ـ وهو الضياء واللمعان.
أو الدَّرُّ ـ بالفتح ـ وهو الدفع.

٣ ـ الرواية: إمَّا دُرّيٌّ ـ بالضم والتشديد، محمولاً على اللمعان.
وإمَّا دُرّيء ـ بالضم والهمز ـ وهو الكشف والوضوح محمولاً على الكلمة العجمية (مُرّيق).

٤ ـ الأوزان:
فُعّيلٌ ـ أو ـ فُعْلِيّ ـ على النسبة الى الدُّرّ ـ مهموزاً ومشدداً
فُعُّول ـ على المبالغة ـ مثل سُبُّوح:

٥ ـ هذه الاوزان والروايات: أنكرها النحويون جميعاً ـ عدا ابا الخطاب الاخفش فانه قبل رواية (دريء).

ثانيا:

دِرّيٌّ ـ او ـ دِرّيءٌ ـ بكسر الدال وتشديد الياء او همزها قال الاخفش: «دريء

---

(١٣٥) ـ اللسان (درأ) ١/٧٣
(١٣٦) ـ اللسان (درأ) ١/٧٣
(١٣٧) ـ انظر/الشيرازيات ١/م١٥/١٥٥
(١٣٨) ـ اللسان (درر)٤/٢٨٢

من درأ» همزها وجعلها: (فعيل) وذلك من تلالئه»[١٣٩]
وقال الفراء: «قوله: (كوكب دريء) بخفض اوله ويهمز... قرأها عاصم كذلك (دريء) بالكسر.

واذا همزته كسرت اوله وهو من قولك: درأ الكوكب اذا انحط كأنه رجم به الشيطان فدفعه، وقال في التفسير: انه واحد من الخمسة: المشتري وزحل، وعطارد، والزهرة، والمريخ، والعرب قد تسمي الكواكب العظام التي لاتعرف اسماءها الداراري بغير همز.

ومن العرب من يقول: كوكب دريء فينسبه الى الدر فيكسر اوله ولايهمز كما قالوا: سُخْريٌّ وَسِخْريّ...»[١٤٠].
وقال ابن خالويه: «... (دِرّيٌّ) يقرأ بكسر الدال والهمز والمد... والحجة لمن كسر وهمز انه اخذه من الدرِ وهو الدفع في الانقضاض وشدّة الضوء وكسر اوله تشبيهاً بقولهم: سِكّيت، أي كثير السكوت....»[١٤١].

وقال ابن منظور: «قال ابو عمرو بن العلاء: سألت رجلاً من سعد بن بكر من اهل ذات عرق. فقلت: هذا الكوكب الضخم ما تسمونه؟
قال: الدِّريّءُ، وكان افصح الناس....»[١٤٢]
وقال ايضا: «... قالوا: دريء بالكسر والهمز جيد على بناء فِعيّل...»[١٤٣]
وقال: «... وأما دِرِّيٌّ فيكون على التضعيف ايضا...»[١٤٤]
والخلاصة مما تقدم
١ ـ الاصل هو: درأ، أو دَرَرَ (دفع ـ او اضاء ـ او انحطّ)
٢ ـ أصل الاشتقاق ـ كما هو عند البصر يين:
الدُّرّ ـ بالضم ـ الضياء
الدَّرُّ ـ بالفتح ـ الدفع
٣ ـ الرواية: اما دِرّيٌّ ـ بالكسر والتشديد
واما دِرّيءُ ـ بالكسر والهمز.
٤ ـ الاوزان: فِعّيلٌ ـ على التضعيف
وهو صيغة مبالغة مثل (سكيت)

---

(١٣٩) ـ معاني القران للاخفش ٢/٤٢٠ ـ ٤٢١
(١٤٠) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٢
(١٤١) ـ حجة ابن خالوية ٢٦٢
(١٤٢) ـ اللسان (درأ) ١/٧٣
(١٤٣) ـ اللسان (درأ) ٤/٧٣
(١٤٤) ـ اللسان (درر) ٤/٢٨٢

٥ ـ هذه الروايات قبلها النحاة، وقالوا عنها (جيدة اذا كانت بالهمز) عدا ابا الخطاب فانه لم يرد عنه قبولها.

ثالثا:

دَرّيءٌ او دَرّيٌّ ـ بفتح الدال ـ وتشديد الياء او همزها قال ابو الحسن الاخفش: «قال بعضهم: دريء مثل فعيل...»[١٤٥] وقال ابن منظور: «وحكى الاخفش عن بعضهم: دريء من درأته وهمزها وجعلها على (فَعِيل) مفتوحة الاول قال: وذلك من تلالئه...»[١٤٦] وقال: ان «سيبويه حكى عن ابي الخطاب: (كوكبٌ دريءٌ)... فعلى النسبة الى الدر، فيكون من المنسوب على غير قياس... لان فعيلا ليس من كلامهم الا ما حكاه ابو زيد من قولهم: سَكّينة في السِّكّينة..»[١٤٧] والخلاصة مما تقدم:

١ ـ الاصل: هو دَرَأَ، او دَرَرَ

٢ ـ اصل الاشتقاق ـ كما هو عند البصريين من:

الدر ـ بالفتح

او الدرأ ـ من درا ـ فهمز الالف.

٣ ـ الرواية: اما دَرّيءٌ ـ بفتح الدال وهمزة الياء وأما دَرّيٌّ ـ بفتح الدال ـ وتشديد الياء.

٤ ـ الأوزان: فعيل: منسوب الى الدر على غير قياس وفعيل ليس من كلامهم الا ما حكاه ابو زيد من قولهم: سَكينة في السِّكّينة.

٥ ـ قبل هذه الرواية ابو الخطاب، ورفضها النحاة الآخرون.

المناقشة

مما تقدم نلاحظ ان ابا الخطاب قد خالف اجماع اللغويين والنحاة، وكذلك خالف قراءة القراء السبعة.

وكان ابو الخطاب يرى ان اشتقاقها من (الدرْأ) وهو رأي ضعيف عند الجميع اذ ان ما عليه الجمهور هو من (الدُّر) بالضم ـ او من (الدَّر) بالفتح.

اما اوزانها؛ فهي (فُعّيل) و(فِعّيل) و(فُعْلِيٌّ) و(فُعّولٌ) و(فَعّيل).

وكان أبو الخطاب يرى ان للكلمة وزنين هما (فُعيل) من المهموز و(فعيل) وكلاهما يرفضه النحاة واللغويون.

---

(١٤٥) ـ معاني القرآن للاخفش ٢/٤٢١

(١٤٦) ـ اللسان (درأ) ١/٧٣

(١٤٧) ـ اللسان (درر) ٤/٢٨٢

واما (فَعْلِيّ) و(فَعّول)؛ فلم يقل بهما النحاة، انما هما من تصور القراء.

واما (فُعَيّل) - غير مهموز - فهو ايضا منكر من قبل النحاة واما فِعَيّل، فهو مقبول عند النحاة جميعاً.

ومن ذلك يتبين لنا ان ابا الخطاب كان منفرداً في هذه الكلمة بالوزن والاشتقاق، وعلى اية حال، فاذا كانت الكلمة من (درر) او من (درأ) فالاصل فيها فتح الدال (فاء الكلمة).

واذا كانت الكلمة من (درأ)؛ فلابد من انقلاب الهمزة الى ياء ثم تضعف أو ينسب اليها، كما ضعفت او نسب اليها عند من اعتبرها من (درر).

فهي اذن في كل الاحوال مفتوحة الاصل، وهذا ما يراه ابو الخطاب فعلى هذا تكون عنده مستعملة على الاصل المرفوض، غير ان هذا الاصل في نظر اللغويين قد مات في الاستعمال، وذلك بنقل فتحة الدال الى (كسرة) لتجانس الياء عندما نقول: (دري) او (دريء) من اجل ذلك شاع هذا الاستعمال المخالف للقياس، وضاع القياس الاصلي المرفوض وفي ذلك مراعاة لخفة النطق في الكلمة

ب - اللغات (كما يسميها القدماء)

١ - هَبَيٌّ ، وَهَبَيَّةٌ:

قال سيبويه: «حدثنا ابو الخطاب انه سمعهم يقولون: هَبَيٌّ وَهَبَيَّةٌ للصبي والصبية، فلو كان الاصل متحركاً، لقالوا: هبياً وَهَبْياةٌ...»[١٤٨]

٢ - نِعِمّا:

قال سيبويه: «واما قول بعضهم في القراءة: «ان لله نعما يعظكم به» فحرك العين فليس على لغة من قال: نِعْمَ، فاسكن العين ولكنه على لغة من قال: نِعِمَ فحرك العين. وحدثنا ابو الخطاب انها لغة هذيل، وكسروا كما قالوا: لِعِبٌ»[١٤٩]

حـ - التركيب

١ - حَيَّهَلَ:

اسم فعل امر متعد بنفسه في رأي ابي الخطاب.

قال سيبويه: «اما ما يتعدى فقولك: رُوَيْدَ زيداً، فانما هو اسم لقولك: أرود زيداً - ومنها هلم زيداً، انما تريد: هات زيداً ومنها قول العرب: حَيَّهَلَ الثريد، وزعم ابو الخطاب ان بعض العرب يقول: حَيَّهَلَ الصلاة، فهذا اسم أئت الصلاة...»[١٥٠].

---

(١٤٨) - الكتاب (هارون) ٤/٤١٢

(١٤٩) - الكتاب (هارون) ٤/٤٣٩-٤٤٠

(١٥٠) - الكتاب (هارون) ١/٢٤١

قال سيبويه: «. . . واما حيهل التي للامر فمن شيئين: يدلك على ذلك: حَيَّ على الصلاة، وزعم ابو الخطاب انه سمع من يقول: حَيْ هَلَ الصلاة، والدليل على انهما جُعلا اسما واحداً قول الشاعر:

وَهَيّجَ الحَيَّ من دارٍ فَظَلَّ لهم يـومٌ كثيرٌ تنـاديـه وَحَيَّهلُهْ»[١٥١]

يتبين لنا من النصين ان ابا الخطاب رواها بروايتين مختلفتين عن العرب احداهما بتشديد الياء وفتحها، والثاني بتخفيف الياء وتسكينها وهي عنده في كلا الحالين مركبة. كان قد سمعها من العرب هكذا بالاضافة الى انفراده برواية التخفيف.

٢ ـ لبيَّكَ: لفظة تعني:

اسم فعل بمعنى قرباً منك:

هي عند ابي الخطاب مصدر من الفعل (أَلبَّ) يكون مركباً مع الكاف ومعناها: المداومة والمساعدة على انجاز شيء، وانتصابها يكون على المصدرية.

قال سيبويه: «حدثنا ابو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشيء لايفارقه ولايقلع عنه: قد اسعد فلان على كذا وكذا ويقال: قد اسعد فلان فلانا على امره وساعده، فالالباب والمساعدة دنو ومتابعة، اذا الب على الشيء فهو لايفارقه، واذا اسعده فقد تابعه، فكأنه اذا قال الرجل للرجل: يافلان، فقال: لبيك وسعديك، فقد قال له: قربا منك ومتابعة لك فهذا تمثيل وان كان لايستعمل في الكلام، كما كان براءة الله تمثيلا لسبحان الله ولم يستعمل. وكذلك اذا قال: لبيك وسعديك، يعني بذلك الله عز وجل، فكأنه قال: اي ورب لا أنأى عنك في شيء تأمرني به، فاذا فعل ذلك؛ فقد تابع وطاوع واطاع»[١٥٢]. وهذا ما يراه ابو الخطاب.

فهو كما قلنا: من (ألب) بالمكان، اي اقام به ولزمه، فابدلت (الباء) (ياء) من اجل التضعيف وكثيرا ما تبدل (الباء) ياء. ثم ضُمت الى الكاف.

اما الخليل: فكان يرى انّ لبَّ من «قولهم: دار فلان تُلِبُّ داري؛ اي تحاذيها اي انا مواجهك بما تحب اجابة لك، والياء للتثنية وفيها دليل على النصب للمصدر. . .»[١٥٣].

---

(١٥١) ـ الكتاب (هارون) ٣/٣٠٠

(١٥٢) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٥٣

(١٥٣) ـ اللسان (لبب) ١/٧٣١. وجاء في الكتاب (هارون) ان الخليل قال: «انها تنبيه بمنزلة حواليك» ١/٣٥١. وهذا يعني ان ابن منظور توسع في معنى الخليل الذي اشار اليه سيبويه في الكتاب.

واما سيبويه؛ فكان يرى انتصابه ـ كما اسلفنا ـ على معنى الفعل مثل (سبحان)[١٥٤].

واما الاحمر، فكان يرى ان «. . اصل لب بك، لبب بك، فاستثقلوا ثلاث باءات فقلبوا احداهن ياء كما قالوا: تظنيت. . .»[١٥٥]

واما ابن الاعرابي؟ فقد كان يرى ان :«. . . اللَّبُّ: الطاعة، واصله من الاقامة، وقولهم: لبيك: اللّبُّ واحد، فاذا ثنيت؛ قلت في الرفع (لبّان)، وفي النصب والخفض (لبين)، وكان في الاصل لبَيْنك، اي اطعتك مرتين ثم حذفت النون للاضافة. . .»[١٥٦].

واما يونس، فقد «. . . زعم ان لبيك اسم واحد، ولكنه جاء على هذا اللفظ في الاضافة كقولك: عليك»[١٥٧].

مما تقدم تدرك ان اللغويين ومنهم ابو الخطاب قالوا بتركيبها غير انهم اختلفوا في كيفية التركيب وانضمام شقي الكلمة الى بعضهما كما اختلفوا ايضا في معناها وفي دلالتها على الفعلية او الاسمية، لانهم عاملوها معاملة الفعل فاعطوها ما اعطوا للفعل وكذلك عاملوها معاملة الاسم فاعطوها ما اعطو للاسم من اضافة وتثنية.

٣ ـ ها أناذا وهاذا انا:

لقد ورد هذان التعبيران مركبين عند العرب

قال سيبويه: «زعم الخليل ـ رحمه الله ـ ان (ها) هنا هي التي مع (ذا) اذا قلت: هذا وارادوا ان يقولوا: أنا هذا، وهذا انا، فقدموا (ها) وصارت (أنا) بينهما. وزعم ابو الخطاب ان العرب الموثوق بهم يقولون: أنا هذا وهذا انا. . . .»[١٥٨].

و(ها) هذه عند الخليل ـ كما هو واضح من النص ـ هي التي تتصدر اسماء الاشارة وفائدتها للتنبيه.

وبناء على ذلك فالخليل يتفق مع ابي الخطاب في مجيء هذا التركيب مصدرا بالضمير، ثم يأتي بعده اسم الاشارة بحيث يفصل (ها) التنبيه بين الاثنين فيكون التركيب (أناهاذا).

وقد يأتي احياناً اسم الاشارة مقدماً في صدر العبارة فيكون التركيب مكونا من

---

(١٥٤) ـ الكتاب (بولاق) ١/٧٧ و(هارون) ١/٣٢٢

(١٥٥) ـ اللسان (لبب) ١/٧٣١

(١٥٦) ـ اللسان (لبب) ١/٧٣١

(١٥٧) ـ الكتاب (هارون) ١/٣٥١

(١٥٨) ـ الكتاب (هارون) ٢/٣٥٤

(ها) التنبيه واسم الاشارة (هذا انا). وقد يفصل احيانا الضمير بين التنبيه واسم الاشارة فيكون التركيب (ها انت ذا).

ولايقصد من ذلك التعريف بالنفس، لان المتكلم لايجهل نفسه. ولا المخاطب، وانما يقصد به التنبيه على الحضور والاستعداد لما يطلب منه، يؤكد ذلك قول: «. . . يونس. . . تصديقاً لقول ابي الخطاب ان العرب تقول: هذا انت تقول: كذا وكذا، ولم يرد بقوله: هذا انت ان يعرفه نفسه، كأنك تريد ان تعلمه انه ليس غيره هذا محال، ولكنه اراد: ان ينبهه كأنه قال: الحاضر عندنا انت، والحاضر القائل كذا وكذا انت وان شئت تقدم (ها) في هذا الباب قال تعالى: (ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم). . .»[١٥٩]. وكذلك قول السيرافي (أبو سعيد): «. . . ها انا ذا وها نحن الخ. . . انما يقول القائل: ها أنا ذا، اذا طلب رجل لم يدر احاضر هو ام غائب فقال: المطلوب: ها انا ذا، اي الحاضر عندك (انا)، وانما يقع جوابا لقول القائل: اين من يقوم بالامر؟ فيقول له الآخر: أناذا، او ها انت ذا، اي انا في الموضع الذي التمست فيه من التمست، او انت في ذلك الموضع، ولو ابتدأ الانسان على غير هذا الوجه، فقال: هذا انت، وهذا انا، يريد ان يعرفه نفسه كان محالا لانه اذا اشار له الى نفسه فالاخبار عنه ثابت لافائدة فيه لانك انما تعلمه انه ليس غيره. . .»[١٦٠]

وفي نظري ان هذا الاسلوب يفيد التنبيه على طريقة التوكيد من الحضور والافضل ان يكون التنبيه مفتتحا به قال الازهري: «واما (هذا) اذا كان تنبيها، فان ابا الهيثم قال: (ها) تنبيه تفتتح العرب بها الكلام بلا معنى سوى الافتتاح تقول: هذا اخوك ها إنّ ذا اخوك، وانشد النابغة:

ها إن تا عذرة إلا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد:

وتقول: ها انتم تجمع بين التنبيهين للتوكيد، وكذلك: الا ياهؤلاء وهو غير مفارق لاي تقول: يا ايها الرجل و(ها) قد تكون تلبية قال الازهري: يكون جواب النداء يمد ويقصر»[١٦١]

د ـ الوقف على آخر الكلمات عند ابي الخطاب

اولا: الوقف على الياء

أ ـ الوقف على الياء في المنقوص:

(١٥٩) ـ الكتاب (هارون) ٢/٣٥٥

(١٦٠) ـ الكتاب (بولاق) (هامش السيرافي) ١/٣٧٩

(١٦١) ـ اللسان (ها) ١٥/٤٧٥ـ٤٨٢

ان بعض العرب يقف على الياء في المنقوص قال سيبويه: «حدثنا ابو الخطاب ويونس ان بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول: هذا راميْ وغازيْ، اظهروا في الوقف حيث صارت في موضع غير تنوين، فان البيان اجود في الوقف، وذلك قولك: هذا القاضيْ وهذا العمّيْ، لانها ثابتة في الوصل»[١٦٢]. وقد اتفق ابو الخطاب في هذا مع يونس في ان العرب كانوا يقفون على الياء الساكنة، ولايعني هذا كل العرب بل يعني ان بعضا من قبائلها تفعل مثل ذلك حيث ترد الياء ثم تسكنها.

ب ـ الوقف على الياء المنقلبة عن الالف.

تقلب الالف ياء ـ في رأي ابي الخطاب ـ ثم يوقف عليها. قال سيبويه يقول: «. . . بعض العرب في افعى؟ افعي، وفي حبلى حبلي، وفي مثنى: مثني، فاذا وصلت، صيرتها الفا، وكذلك كل الف في آخر الاسم. حدثنا الخليل وابو الخطاب انها لغة لفزارة وناس من قيس وهي قليلة. فاما الاكثر الاعرف فان تدع الالف في الوقف على حالها، ولاتبدلها ياء، واذا وصلت؛ استوت اللغتان لانه اذا كان بعدها كلام؛ كان ابين لها منها اذا سكت عندها، فاذا استعملت الصوت كان ابين.

واما طيء فزعموا انهم يدعونها في الوصل على حالها في الوقف لانها خفية لاتحرك قريبة من الهمزة، حدثنا بذلك ابو الخطاب وغيره من العرب وزعموا ان بعض طيء يقول: افعو، لانها ابين من الياء وتبدلان مكان الالف ايضا وهن اخوات. .»[١٦٣]

وقد جاء ذلك في قراءة حمزة قال الفارسي: «ومن الدلالة على صحة ما اعتبره حمزة في ذلك ان الياء في الاواخر في غير هذا الموضع وقعت موضع الالف في الوصل والوقف، وذلك لغة طيء فيما حكاه عن ابي الخطاب وغيره من العرب وذلك قولهم في افعى: أفعيْ، فلما جرت الياء مجرى الالف في هذا عندهم اجري الياء في عليهم مجرى الالف. . .»[١٦٤]

ثانيا: الوقف على الهاء

أ ـ الوقف على هاء السكت:

قال سيبويه: «زعم ابو الخطاب ان ناساً من العرب يقولون: ادعه فيكسرون العين كأنها لما كانت في موضع الجزم؛ توهموا انها ساكنه اذا كانت اخر شيء في الكلمة في موضع الجزم فكسروا حيث كانت الدال ساكنة لانه لايلتقي

(١٦٢) ـ الكتاب (بولاق) ٢/٢٨٨ و(هارون) ٤/١٨٣ وانظر الشيرازيات ١/١١٧ و١١٨
(١٦٣) ـ الكتاب (بولاق) ٢/٢٨٨ و(هارون) ٤/١٨١
(١٦٤) ـ حجة ابي علي ١/٦٣

ساكنان . . »[١٦٥]

وقد فسرها الفارسي بصورة اخرى قائلا: «حكى سيبويه عن ابي الخطاب ان ناسا يقولون: أدعِهِ بكسر العين اذا الحقوا الهاء التي للوقف، ويشبه (لم يكن) و(لم أُبَل) كأنه حذف الواو اولا للجزم فبقيت العين متحركة بالضم، كما بقيت متحركة بالكسر في (لم أبالِ) فلما جزم؛ حذف الحركة التي هي الضمة كما حذف النون من (يكن) والحركة من (ابال) فسكنت العين ولحقها ها، الوقف وهي ساكنة وقد تقدمتها العين ايضا ساكنة فالتقى ساكنان فحرك الأول منهما بالكسر لالتقائهما، كما حرك اللام في التقائهما. . .»[١٦٦]

ب ـ الوقف على التاء:

يكون الوقف على التاء عند ابي الخطاب اذا انتهى الاسم بالهاء، وعند غيره يكون الوقف على الهاء نفسها ساكنة كالوقف على (براءة) بالتاء وبالهاء، قال سيبويه: «ارادوا ان يفرقوا بين هذه التاء والتاء التي هي من نفس الحرف نحو: تاء القت قال: وزعم ابو الخطاب ان ناسا من العرب يقولون (طلحت) كما فعلوا بتاء الجميع . . »[١٦٧]

ثالثا: الوقف على الحرف الصحيح المرفوع، ويكون بطريقتين عند ابي الخطاب:

ا ـ بالروم ـ اي باخفاء الحركة

قال سيبويه: «واما الذين راموا الحركة فهم الذين قالوا: هو عمر وهذا أحمد كأنه يريد رفع لسانه حدثنا بذلك عن العرب الخليل وابو الخطاب. . .»[١٦٨]

ب ـ باشباع الحركة بحيث تصير الى الحرف الذي يجانسها كالواو والياء والالف وهذه لغة بعض العرب قال سيبويه «. . .زعم ابو الخطاب ان ازد السراة يقولون: هذا زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزيدي وبعمري. جعلوه قياسا واحدا فاثبتوا الياء والواو كما اثبتوا الالف»[١٦٩].

---

(١٦٥) ـ الكتاب (بولاق) ٢/٢٧٨ و(هارون) ٤/١٦٠

(١٦٦) ـ العضديات ٩٧

(١٦٧) ـ اعراب القرآن للنحاس ٣/٢

(١٦٨) ـ الكتاب (هارون) ٤/١٦٧

(١٦٩) ـ الكتاب (بولاق) ٢/٢٨١ وسر صناعة الاعراب (مخطوط) لوحة ١٤٤م

المصادر والمراجع

١ ـ اشتقاق اسماء الله ـ الزجاجي (عبد الرحمن بن اسحاق) (٣٣٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك ـ مطبعة النعمان ـ العراق ١٩٧٤م.

٢ ـ الاشتقاق ـ (ابن دريد) (محمد بن الحسن ٣٢١ هـ) ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ مطبعة السنة المحمدية ـ مصر ١٩٥٨م/١٣٧٨ هـ .

٣ ـ الاضداد في كلام العرب ـ ابو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي ٣٥١ هـ) تحقيق الدكتور عزة حسن ـ دمشق ١٩٦٣م.

٤ ـ اعراب القرآن ـ النحاس (احمد بن محمد بن اسماعيل ٣٣٨ هـ) الدكتور زهير غازي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٧م.

٥ ـ الاعلام ـ خير الدين الزركلي ـ ط ٣ ـ دمشق

٦ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة ـ القفطي (جمال الدين علي بن يوسف ٦٤٦ هـ) ـ تحقيق ابو الفضل ابراهيم ـ مطبعة دار الكتب ـ القاهرة ١٩٥٢م/١٣٧١هـ .

٧ ـ الايضاح العضدي ـ الفارسي (الحسن بن احمد) (٣٧٧ هـ) ـ مطبعة دار التأليف ـ الطبعة الاولى ـ مصر ١٩٦٩م/١٣٩٨هـ

٨ ـ الايضاح في علل النحو ـ الزجاجي (عبد الرحمن بن اسحاق ٣٣٧ هـ) ـ تحقيق مازن المبارك ـ مطبعة المدني ـ مصر ١٩٥٩م/١٣٧٨ هـ .

٩ ـ البلغة في تاريخ ائمة اللغة ـ الفيروز ابادي ـ تحقيق محمد المصري ـ دمشق ١٩٧٢ م.

١٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) ٩١١ هـ ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم.

١١ ـ تاريخ الادب العربي ـ كارل بروكلمان ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار. ـ ط ٣ ـ مصر ١٩٧٤م.

١٢ ـ تاريخ النحو العربي (حتى اواخر القرن الثاني الهجري) ـ الدكتور علي ابو المكارم ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة القاهرة الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٧١م.

١٣ ـ جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري ـ الدكتور يوسف احمد المطوع. ـ مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ .

١٤ ـ جمهرة اللغة ـ ابن دريد (محمد بن الحسن) (٣٢١)هـ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ١٣٤٥ هـ .

١٥ ـ حاشية الصبان/شرح الاشموني على الفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، دار احياء الكتب العربية ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر.

١٦ ـ الحجة لابي علي (الحسن بن احمد) الفارسي (٣٧٧ هـ) ـ تحقيق علي النجدي

ناصف والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح شلبي. الطبعة الثانية - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
١٧ - الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه (الحسين بن أحمد ٣٧٠هـ) تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم (مطبعة دار الشروق) الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
١٨ - خزانة الادب - البغدادي (عبد القادر بن عمر) (١٠٣٠هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - مطبعة دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٧م.
١٩ - الخصائص - ابن جني (ابو الفتح عثمان بن جني ٣٩٢هـ) - تحقيق محمد علي النجار. - الطبعة الثانية - اوفست - بيروت.
٢٠ - الخليل بن احمد الفراهيدي (أعماله ومنهجه) - مهدي المخزومي - بغداد ١٩٦٠.
٢١ - رواية اللغة - الدكتور عبد الحميد الشلقاني - دار المعارف - مصر.
٢٢ - ابو زيد الانصاري وأثره في دراسة اللغة - الدكتور ابراهيم يوسف السيد. - مطابع جامعة الرياض - المملكة السعودية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٢٣ - الزاهر - ابن الانباري (ابو بكر محمد بن القاسم) (٣٣٨ هـ) - تحقيق الدكتور حاتم الضامن - دار الرشيد ١٩٧٩ م.
٢٤ - سيبويه امام النحاة - تأليف علي النجدي ناصف. - الطبعة الثانية - المطبعة العثمانية - القاهرة ١٣٩٩هـ /١٩٧٩ م.
٢٥ - شرح ابيات سيبويه - ابو جعفر احمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ) - تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد - ط ١ - مطبعة الغري الحديثة - النجف ١٩٧٤م.
٢٦ - شرح ابيات سيبويه - (ابو محمد يوسف بن ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي) (٣٨٥ هـ) تحقيق الدكتور محمد علي الريح هاشم - مطبعة الفجالة الجديدة - القاهرة ١٩٧٤م.
٢٧ - شرح المفصل - تأليف ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش)(٦٤٣ هـ) - اوفست - عن الطبعة الاصلية - عالم الكتب - بيروت.
٢٨ - طبقات الشعراء - ابن سلام الجمحي - المطبعة المحمودية - مصر.
٢٩ - الفهرست - ابن النديم - طبعة دار المعرفة.
٣٠ - الكتاب - سيبويه - تحقيق عبد السلام محمد هارون - اوفست - عالم الكتب - بيروت.
٣١ - الكتاب - سيبويه (ابو بشر عمرو) (١٨٠هـ) - المطبعة الاميرية - بولاق - ط ١ - مصر ١٣١٦ هـ.
٣٢ - لسان العرب - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) الافريقي - دار صادر

- بيروت.
٣٣ - مجاز القرآن - ابو عبيدة (معمر بن المثنى) (٢١٠ هـ) - تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزگين - مصر.
٣٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي (الفضل بن الحسن) - دار احياء التراث العربي.
٣٥ - المحتسب - ابن جني (ابو الفتح عثمان) (٣٩٢ هـ) - تحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار - القاهرة ١٣٨٦هـ.
٣٦ - المخصص - ابن سيدة (ابو الحسن علي بن اسماعيل) (٤٥٨ هـ)- اوفست - مطبعة المكتب التجاري بيروت.
٣٧ - المدارس النحوية - الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف - مصر.
٣٨ - مرآة الجنان وعبرة اليقضان - الامام ابو محمد عبد الله بن اسعد اليافعي (٧٦٨هـ) - اوفست عن الطبعة الاولى - الدكن حيدر آباد ١٣٣٨ هـ.
٣٩ - المزهر - السيوطي (جلال الدين) (٩١١هـ) - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. الطبعة الاولى - مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٥م/١٣٨٤هـ.
٤٠ - المسائل الشيرازيات لأبي علي الفارسي - رسالة دكتوراه - علي جابر المنصوري - كلية الاداب - جامعة عين شمس - مصر ١٩٧٦ م.
٤١ - المسائل العضديات - ابو علي (الحسن بن احمد) (٣٧٧ هـ) - تحقيق الدكتور علي جابر المنصوري - مطبوع على الالة الكاتبة - بغداد ١٩٨٤م.
٤٢ - المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات - ابو علي النحوي (٣٧٧ هـ) تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي - مطبعة العاني /بغداد ١٩٨٣م.
٤٣ - معاني القرآن - ابو الحسن الاخفش (سعيد بن مسعدة) (٢١٥ هـ) - تحقيق الدكتور فائز فارس - الطبعة الثانية - الكويت ١٩٨١م/١٤٠١ هـ
٤٤ - معاني القرآن - ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء ٢٠٧ هـ - تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار - الطبعة الثانية - اوفست عالم الكتب بيروت ١٩٨٠م.
٤٥ - معجم البلدان - الحموي - ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (٦٢٦هـ)- دار صادر بيروت ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م.
٤٦ - المقتضب - المبرد (محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ) - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه مطبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - القاهرة ١٣٨٨ هـ.
٤٧ - المنصف (شرح الامام ابي الفتح عثمان بن جني) للكتاب التصريف (للامام ابي عثمان المازني النحوي البصري) تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله امين -